



قِيمَةُ الْحَرَامِ

تَقْدِيمًا

مَعَالِي الشَّيْخِ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ السَّيْدِيِّ

رئيس الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام

مَطْبُوعٌ عِنْدَ مَكْتَبَةِ الشُّبَيْبِيِّ

ح رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، ١٤٤٦هـ

معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

قيم الحرمين، /معالي الشيخ الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس

- ط ١. - مكة المكرمة، ١٤٤٦هـ

٩٦ ص، ٢١ × ١٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١١٢٨٣

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٠٦-٤٤-٨

مطبوع في دار النشر
بمكة المكرمة
١٤٤٦هـ

الطبعة الأولى

٢٠٢٥م / ١٤٤٦هـ





مقدمة رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

الحمدُ لله، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رسول الله، وعلى آله
وصحبه وَمَنْ والاه، أَمَا بعدُ:

فقد جعل الله تعالى البيت الحرام قبلةً تجتمع صوبها قلوبُ
المسلمين وأجسادُهُمْ، وهدى للعالمين، وحرماً آمناً، يتحقق
بتعظيمه صلاحُ النَّاسِ في معاشِهِمْ، ومعادِهِمْ.

وفي كلِّ عامٍ يَفِدُّ إلى البلدِ الحرامِ ملايينُ المُسلمين، يحملون
معهم آمالَهُمْ، ومشاعرَهُمْ، وأمنيَّاتِهِمْ، وكذلك أسئلتَهُمْ عمَّا
يجبُ عليهمُ تجاهَ دينِهِمْ، وما أشكلَ عليهمُ في عبادتِهِمْ،
ومُعاملاتِهِمْ.

ومن هذا المنطلق، كان تعظيمُ المَسْجِدِ الحرامِ، وإكرامُ
أهله والوافدين إليه واجباً، ومسؤوليةً عظيمةً، وقد تشرّفتُ
«رئاسةُ الشؤونِ الدينيَّةِ بالمَسْجِدِ الحرامِ، والمَسْجِدِ النَّبويِّ»
بحملها، والقيام بها على أكمل وجهٍ.



فهذا مشروع «مطبوعات قاصد الحرمين الشريفين» تعبيرٌ صادقٌ عما يُكَنُّهُ أهلُ هذه البلادِ المُباركة، والقائمون على خدمة البيتِ الحرامِ مِنْ مَشاعِرِ تَجَاهِ وَفِدِ الرَّحْمَنِ، وتقديمٍ لهديَّةٍ ثمينَةٍ يحملها الزَّائِرُ مَعَهُ، ويفخرُ بها حالَ عودتِهِ إلى بِلَدِهِ. وإنَّ «رئاسةَ الشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ بالمسجدِ الحرامِ، والمسجدِ النَّبَوِيِّ» - إذ تَضَعُ بَيْنَ يَدَيِ إِخْوَانِنَا ضيوفِ الرَّحْمَنِ هذا الكِتَابَ الإرشاديَّ، الَّذِي يشتمل على القِيَمِ السبع التي تنطلق منها الرئاسة، وتسعى إلى تحقيقها في جميع مبادراتها ومشاريعها وخدماتها لقاصدي الحرمين الشريفين، انطلاقاً من تحقيق رسالتها السامية: «تمكينُ القاصدين من أداء العبادة على بصيرة، في بيئةٍ ثريَّة، ونشر الهداية والعلم الشرعيِّ وَفَقَ منهجِ الوَسْطِيَّةِ» - لتأملُ مِنْ إِخْوَانِنَا الزَّائِرِينَ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي دِينِهِمْ، ويشكروا مَوْلَاهُمْ، الَّذِي يَسَّرَ لَهُمْ زِيَارَةَ بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ، وَأَدَاءَ مَنَاسِكِهِمْ بِكُلِّ طَمَآنِينَةٍ وَيُسْرٍ.

تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا، وَمِنْكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

رَأْسُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ الدِّينِيِّ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ



تقديم

الحمد لله الذي جعل بيته الحرام ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، يثوبون إليه في كل حين فلا يخلو من الزُّوَّارِ، والمُعْتَمِرِينَ، والطَّائِفِينَ والعَاكِفِينَ، والرَّاكِعِينَ والسَّاجِدِينَ، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢]، ويرجون منه جودًا وإحسانًا، فهو الغني الكريم وهو ذو الفضل العظيم.

والصلاة والسلام على من بعثه الله ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ذلك النبي الكريم الذي أرسله ربه ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٥﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ولد في مكة حيث بيت الله الحرام، وهاجر إلى المدينة حيث أقام دولة الإسلام ونشر مبادئ العدل والأمن والسلام، فلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).



أما بعد:

فإن كل منظمة أو مؤسسة تسعى إلى الوصول إلى أهدافها، وتحقيق مآربها وتطلعاتها، وهذا لا يتحقق بمجرد التخيل والتمني، بل لا بُدَّ من الجِدِّ والعمل، وصدق من قال:

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غَلَابًا

ولا بُدَّ لأي منظمة ناجحة - كي يستمر نجاحها، ويتدفق عطاؤها- من تبني قيم ومبادئ تقوم عليها محاور أصولها، وتنبثق منها مخارج فصولها، وتنطلق منها مساعيها وجهودها نحو أهدافها مع رجاء حصولها.

وقيم الحرمين الشريفين أرقى وأسمى من كل القيم، إذ هي مستمدة من المنظومة المباركة للقيم الإسلامية، التي هي مستمدة من الكتاب والسنة، وهما النور المبين والصراف المستقيم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ذلك بأنه لا توجد قيمة ذات شرف ومكانة إلا ولها أصل في نصوص الوحيين، إما بالنص، وإما بالاستنباط؛ فإن رسولنا



الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وشريعته المطهرة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما من معروف إلا وحثت عليه، وما من منكر إلا ونهت عنه، ولذلك أرسل الله رسوله الكريم للناس كافة ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ف«دلَّت الآيَةُ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُم بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعُقُولُ وَتَقْرُ بِحَسَنِهِ الْفِطْرَ فَأَمَرَهُمْ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ كُلِّ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَنَهَاهُمْ عَمَّا هُوَ مُنْكَرٌ فِي الطَّبَاعِ وَالْعُقُولِ بِحَيْثُ إِذَا عَرَضَ عَلَى الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ أَنْكَرْتَهُ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ كَمَا أَنَّ مَا أَمَرَ بِهِ إِذَا عَرَضَ عَلَى الْعَقْلِ السَّلِيمِ قَبْلَهُ أَعْظَمَ قَبُولَ وَشَهِدَ بِحَسَنِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ وَقَدْ سُئِلَ بِمَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ «مَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فَقَالَ الْعَقْلُ لَيْتَهُ يَنْهَى عَنْهُ وَلَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَيْتَهُ أَمَرَ بِهِ».

فَهَذَا الْأَعْرَابِيُّ أَقْرَ عَقْلَهُ وَفَطَرْتَهُ بِحَسَنِ مَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبِحَ مَا نَهَى عَنْهُ، حَتَّى كَانَ فِي حَقِّهِ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوْتِهِ وَشَوَاهِدِ رِسَالَتِهِ»^(١).

وبعدما انتقل رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرِّفِيقِ الْأَعْلَى سَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ سَعِيَةَ الْحَمِيدِ، وَمَضَتْ عَلَى مَسْلَكِهِ الرَّشِيدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

«وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ بِشَرَعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلَهُ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ. فَالْعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ، يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ»^(١).

ف«هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحاء، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في

(١) تفسير ابن كثير (٢/٩٤).



قيّم الحرمين

منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان»^(١).

ومن هذه القيم الشريفة والمبادئ الشرعية المنيفة: قيم عليا خلقية كقيمة الإحسان والعدل والأمانة والصدق، وقيم اجتماعية كلزوم الجماعة والتعاون والتكافل، وقيم حضارية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجمال والسلام، وقيم اقتصادية كالقناعة والعفاف، وقيم نفسية كالتواضع وخفض الجناح.

وجميع القيم الإسلامية النابعة من ديننا الحنيف ندعو إليها ونحث عليها ونسعى لامثالها وتعزيزها في خطب الحرمين الشريفين ودروسه ومبادراته ومشاريعه.

غير أن رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي قد ركزت في هذا الجهاز كمنظومة مؤسسية في ملامح استراتيجيتها على سبع قيم جامعة تسعى لامثالها مؤسسياً ولدى أفرادها العاملين فيها مع تبني نشرها وتوضيحها لدى شركاء النجاح والقاصدين أيضا ليعم نفعها ويعظم أثرها.

وهي في الحقيقة إذ تتبنى هذه القيم السبع وتسعى إلى ترسيخها

(١) تفسير السعدي (ص ٩٧٢).



ونشرها إنما تعمل بكتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذه القيم مستمدة منهما ومبنية عليهما، فهي على بصيرة من أمرها وتدعو إلى الله على بصيرة متبعة في ذلك هدي نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

إن رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي تجدد رسالة الحرمين الشريفين من نشر الإسلام بصورته الصافية النقية وقيمه القيّمة السنيّة جامعة بين التمسك بالقيم والمبادئ، والحرص على تطوير الأدوات والوسائل، وتحديث المحاور والمرافق، والمضي قدماً في نشر قيم الإسلام وخدمة زوار بلد الله الحرام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام حتى يتأتى لهم تأدية المناسك بكل يسر وسهولة، وينهلوا من معين الوحيين أثناء زيارتهم للحرمين الشريفين، راجين من الله تعالى لنا ولهم الإخلاص والقبول، وحصول المرجو والمأمول، إنه سميع عليم.

والحمد لله رب العالمين

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن بن عبد العزيز السليبي

رئيس الشؤون الدينية والمسجد الحرام والمسجد النبوي

إمام وخطيب المسجد الحرام



القيمة الأولى تعظيم الحرمين



إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ، وَالْمُحِبِّ الْمُوَافِقِ،
وَمِنْ عِلَامَاتِ امْتِلَاءِ قَلْبِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ، وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ:
تَعْظِيمَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّعَائِرِ وَالْحُرُمَاتِ، وَالْمَنَاسِكِ وَأَمَاكِنِ
الْعِبَادَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُوسَى رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوُقُوفُ بِعِرْفَةِ مَنْ
شَعَائِرِ اللَّهِ، وَيَجْمَعُ^(١) مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَالْبُدُنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ،
وَالْحَلَقُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَالرَّمْيُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ يُعَظِّمُهَا
فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ»^(٢).

وفي تعظيمها خيرٌ عظيمٌ للمسلم في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى:
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

(١) جمع: هي المُزْدَلْفَةُ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٧٥)، والطبري في التفسير (١٦/ ٥٤١).

قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى صَفَايَا مِنْ خَلْقِهِ: اصْطَفَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ رُسُلًا، وَاصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ ذِكْرَهُ، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَرْضِ الْمَسَاجِدَ، وَاصْطَفَى مِنَ الشُّهُورِ رَمَضَانَ وَالْأَشْهُرَ الْحُرْمَ، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاصْطَفَى مِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَعَظَّمُوا مَا عَظَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا تُعَظَّمُ الْأُمُورُ بِمَا عَظَّمَهَا اللَّهُ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ وَأَهْلِ الْعَقْلِ»^(١).

وَمِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ اللَّهِ الَّتِي يَجِبُ تَعْظِيمُهَا وَاحْتِرَامُهَا: الْكَعْبَةُ الْمُشْرِفَةُ، وَالْحَرَمُ، وَمَكَّةُ الْمُكْرَّمَةُ.

عَنْ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ الْمَخْزُومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا، فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا»^(٢).

وَقَالَ طَارِقُ بْنُ أَحْمَرَ^(٣): كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ إِذْ جَاءَهُ

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٤٤/١١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣١١٠)، وأحمد (١٩٠٤٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (٤٤٩/٣)، وفي إسناده ضعف.

(٣) ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣٥٣/٤)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٨٦/٤)، من رواية عبد الكريم الجزري عنه، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (٣٩٥/٤).

رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَيُّ الشَّعَائِرِ أَعْظَمُ؟
قَالَ: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ مِنْهُ؟ هَذَا أَعْظَمُ الشَّعَائِرِ»، يَعْنِي:
الْبَيْتَ^(١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ:
«مَا أَطْيَبُكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنْ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ
مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^(٢).

وَكَيْفَ لَا تُعْظَمُ وَهِيَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَهْوَى أَفْتَدَةِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَمَرْكَزُ انْتِمَاءِ الْمُحِبِّينَ الصَّادِقِينَ، وَمَحَطُّ آمَالِ الرَّاجِينَ الْمُؤْمِلِينَ،
وإِلَيْهَا يَحْنُ كُلُّ مُشْتَاقٍ، وَيَقْدُمُ الْمُحِبُّونَ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ الْآفَاقِ؟
وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ: هُوَ أَوْلَى الْمَسَاجِدِ بِالتَّعْظِيمِ وَالاحْتِرَامِ،
فَهُوَ أَوْلَى بِيُوتِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

= وقال الدوري: سألت يحيى عن حديث رواه عبيد الله بن عمرو الرقي،
عن عبد الكريم، عن طارق بن أحمَر، قال: «كنت عند ابن عمر»، فلم
يُنكره يحيى وعرفه. تاريخ ابن معين - رواية الدوري (٤/ ٤٨٥).

(١) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣٧١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٩٢٦) وصححه، وأحمد (٣٧٠٩)، والنحاكم
(١٧٨٧) وصححه.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ
وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»^(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ عُبِدَ اللَّهُ فِيهِ
فِي الْأَرْضِ»^(٢).

وهو أحب المساجد إلى الله، وأكرمها عليه، وأعظمها عنده
قدراً، وهو البيت العتيق الذي أعتقه الله من الجبابرة، ولا يُريده
أحدٌ بسوءٍ إلا هلك.

وذكر الزُّهْرِيُّ، أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ
الْعَتِيقُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ»^(٣)، وَصَحَّ ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ
مُجَاهِدٍ^(٤)، وَعَنْ قَتَادَةَ^(٥).

وَمِنْ شَرَفِهِ: أَنَّ الَّذِي تَوَلَّى بِنَاءَهُ نَبِيَّانِ كَرِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى:

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).

(٢) رواه الأزرقي في أخبار مكة (٦٤/٢)، والطبري في التفسير (٥٩٠/٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٠٥/٢)، والطبري في تفسيره (٥٢٩/١٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٠٥/٢)، والطبري في تفسيره (٥٣٠/١٦)،

وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٩٠/٨).

(٥) رواه ابن وهب في تفسير القرآن من الجامع (٨٣/٢)، والطبري في تفسيره

(٥٣٠/١٦).



﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأمر الله نبيّه الكريمين بتطهير بيته للعابدين والزائرين، فقال
تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

أي: تطهيره من الشرك والكفر والمعاصي، ومن الرجس،
والنجاسات، والأفذار.

عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ
الْأَوْثَانِ وَالرَّيْبِ، وَقَوْلِ الزُّورِ وَالرَّجْسِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «طَهَّرَا بَيْتِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الشُّرْكِ».
قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ،
وَقَتَادَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، نَحْوُهُ»^(١).

وهو قيام دين الناس ودنياهم، ومعقد مصالحهم في أولاهم
وأخراهم، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا
لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٢٧، ٢٢٦).

أَي: «يَقُومُ بِالْقِيَامِ بِتَعْظِيمِهِ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ إِسْلَامُهُمْ، وَبِهِ تُحَطُّ أَوْزَارُهُمْ، وَتَحْصُلُ لَهُمْ بِقَصْدِهِ الْعَطَايَا الْجَزِيلَةَ، وَالْإِحْسَانُ الْكَثِيرُ، وَيَجْتَمِعُ فِيهِ جَمِيعُ أَجْنَاسِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَتَعَارَفُونَ، وَتَنْعَقِدُ بَيْنَهُمُ الرِّوَابِطُ فِي مَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ»^(١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعْبَةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ﴾ [المائدة: ٩٧] «يَعْنِي: قِيَامًا لِدِينِهِمْ، وَمَعَالِمَ لِحَجَّتِهِمْ»^(٢).

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾: تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهَا، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ^(٣).
وَعَنِ السُّدِّيِّ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعْبَةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ﴾ قَالَ: «جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ قِيَامًا لِلنَّاسِ، هِيَ قِيَامُ أَمْرِهِمْ»^(٤).

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقِيَامُ لِلشَّيْءِ: هُوَ الَّذِي بِهِ صَلَاحُهُ، كَالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ قِيَامُ رَعِيَّتِهِ وَمَنْ فِي سُلْطَانِهِ؛ لِأَنَّهُ مُدَبِّرُ أَمْرِهِمْ،

(١) تفسير السعدي (ص ٢٤٤).

(٢) تفسير الطبري (٨/٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢١٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢١٥).

(٤) تفسير الطبري (٩/٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٢١٤).

وَحَاجِزُ ظَالِمِهِمْ عَنِ مَظْلُومِهِمْ، وَالِدَّافِعُ عَنْهُمْ مَكْرُوهَ مَنْ بَغَاهُمْ وَعَادَاهُمْ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ الْكَعْبَةُ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهَدْيُ وَالْقَلَائِدُ قِوَامَ أَمْرِ الْعَرَبِ الَّذِي كَانَ بِهِ صِلَا حُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ فِي الْإِسْلَامِ لِأَهْلِهِ مَعَالِمَ حَجِّهِمْ وَمَنَاسِكِهِمْ، وَمُتَوَجِّهِهِمْ لَصَلَاتِهِمْ، وَقِبْلَتِهِمْ الَّتِي بَاسْتِقْبَالِهَا يَتِمُّ فَرُضُهُمْ^(١).

وقد دعا إبراهيم خليل الله لهذا البلد الأمين وأهله الطيبين، فقال: ﴿فَأَجْعَلْ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال «لو أن إبراهيم عليه السلام حين دعا قال: «اجعل أُمَّةً النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» لَازِدَحَمَتْ عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَلَكِنَّهُ خَصَّ حِينَ قَالَ: ﴿أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾، فَجَعَلَ ذَلِكَ أُمَّةً الْمُؤْمِنِينَ».

وجاء نحوه عن سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر^(٢).

(١) تفسير الطبري (٩/٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٧٠٠/١٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٥٠/٧)، تفسير الثعلبي (٤٠٣/١٥)، شعب الإيمان (٤٥٦/٥)، التفسير الوسيط للواحدي (٣٤/٣)، زاد المسير (٥١٦/٢)، تفسير القرطبي (٣٧٣/٩)، تفسير ابن كثير (٥١٤/٤).

فَمَا زَالَ الْمُؤْمِنُونَ يَحِنُّونَ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ، وَيَأْتُونَ
إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ الْأَنْحَاءِ؛ لِيَرَوْا مِنْهَا ظَمًا قَلْبِهِمْ، وَيَصِيرَ حَرْمُ اللَّهِ
مِلءَ جُفُونِهِمْ، وَقُرَّةَ عُيُونِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

«أَيُّ: يُتَوَبُّونَ إِلَيْهِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَعْوَامِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَلَا
يَقْضُونَ مِنْهُ وَطْرًا، بَلْ كُلَّمَا أَزْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً أَزْدَادُوا لَهُ اشْتِيَاقًا»^(١).

قَالَ عَطَاءٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، قَالَ:
«يُتَوَبُّونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطْرًا»^(٢).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «يَحْجُّونَ، ثُمَّ يَحْجُّونَ، لَا يَقْضُونَ مِنْهُ
وَطْرًا»^(٣).

وَقَالَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ: «يُتَوَبُّونَ إِلَيْهِ، لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطْرًا»^(٤).

(١) زاد المعاد (١/ ٥٢).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٤٥)، تفسير الطبري (٢/ ٥١٩).

(٣) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩٢)، تفسير الطبري (٢/ ٥٢٠).

(٤) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٩١)، تفسير الطبري (٢/ ٥١٨)، سنن البيهقي

(٩٨٣١).



وفي لفظٍ: «يُثُوبُونَ إِلَيْهِ، وَيَذْهَبُونَ وَيَرْجِعُونَ، لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا»^(١).

وقال ابنُ زَيْدٍ: «يُثُوبُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْبُلْدَانِ كُلِّهَا وَيَأْتُونَهُ»^(٢).

وعنُ عَبْدِ بَنِ أَبِي لُبَابَةَ، قَالَ: «لَا يَنْصَرِفُ عَنْهُ مَنْصَرَفٌ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَضَى مِنْهُ وَطَرًا»^(٣).

«وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْبَيْتِ شَرَفٌ إِلَّا إِضَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ إِلَى نَفْسِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، لَكَفَى بِهِذِهِ الْإِضَافَةُ فَضْلًا وَشَرَفًا، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ هِيَ الَّتِي أَقْبَلَتْ بِقُلُوبِ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ، وَسَلَبَتْ نُفُوسَهُمْ حُبًّا لَهُ، وَشَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِ، فَهُوَ الْمَثَابَةُ لِلْمُحِبِّينَ، يَثُوبُونَ إِلَيْهِ وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا أَبَدًا، كُلَّمَا أزدَادُوا لَهُ زِيَارَةً، أزدَادُوا لَهُ حُبًّا وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، فَلَا الْوِصَالَ يَشْفِيهِمْ، وَلَا الْبِعَادُ يُسَلِّيهِمْ، كَمَا قِيلَ:

(١) سنن البيهقي (٩٨٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٥٢٠ / ٢).

(٣) تفسير الطبري (٥١٩ / ٢).

أَطُوفُ بِهِ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ

إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ الطَّوَافِ تَدَانِي

وَأَلْتَمُّ مِنْهُ الرُّكْنَ أَطْلُبُ بَرْدَ مَا

بِقَلْبِي مِنْ شَوْقٍ وَمَنْ هِيَمَانِ

فَوَاللَّهِ مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً

وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا كَثْرَةَ الْحَقَّقَانِ^(١)

وقد جعل الله البيت الحرام ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

[آل عمران: ٩٦].

فبركاته لا تُحصَى: من مُضاعفةِ الثَّوابِ فيه، وتأمينِ أهله،
وتيسيرِ أرزاقهم، واستيعابه لملايين الزَّائرينَ، من الحُجَّاجِ
والمُعْتَمِرِينَ، وتيسيرِ أمورهم، ورفاهيتهم في أداءِ مناسكهم.

والبيت الحرامُ منارٌ هدايةً للعالمينَ؛ لأنَّه بُنيَ على توحيدِ الله،
والعباداتِ فيه من الطَّوافِ والصَّلَاةِ، والحجِّ والعُمرةِ، هي
لتوحيدِ الله، والإسلامِ له، وذكِّره وتَعْظيِّمه.

فَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَشَاعِرَ الْعَظِيمَةَ، اهْتَدَى، وَزَالَتْ عَنْهُ كُلُّ رِيْبَةٍ.

(١) بدائع الفوائد (٤٦/٢) بتصرف يسير.



وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: ﴿مُبَارَكًا﴾: جَعَلْنَاهُ آمِنًا، وَجَعَلَ فِيهِ
الْخَيْرَ وَالْبَرَكَاتِ، ﴿وَهَدَى لِلْعَلَمِينَ﴾، يَعْنِي بِالْهُدَى: قَبْلَتَهُمْ^(١).
وَالْحَرَمُ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾.

«أَيُّ: دَلَالَاتٌ ظَاهِرَةٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَظَمَهُ وَشَرَّفَهُ»^(٢).

وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ: هُوَ مَهْدُ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَحْوِ الشِّرْكِ
وَالْتَّنِيدِ، فَقَدْ بُنِيَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ يَوْمَ بُنِيَ عَلَى التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ
صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ»^(٣).

وَمِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ:

الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ: وَهُوَ الْحَجَرُ الْمَنْصُوبُ فِي الرُّكْنِ الْجَنُوبِيِّ
الشَّرْقِيِّ لِلْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، فِي غَطَاءٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَهُوَ مَبْدَأُ الطَّوَافِ.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٧١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٧٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٤٠٦)، وأحمد (١٥٢٧١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجَرِ: «وَاللَّهِ لَيُبَعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يُنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَلَمَهُ بِحَقِّ»^(١).

وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيُّ: وَهُوَ رَكْنُ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ، وَيُوَازِي الرُّكْنَ الْجَنُوبِيَّ الشَّرْقِيَّ الَّذِي يُوْجَدُ بِهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهُ يَتَّعُ فِي جِهَتِهَا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنِ الرُّكْنَيْنِ: «إِنَّ مَسْحَهُمَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا»^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيمَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٣).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٩٦١) وحسنه، وابن ماجه (٢٩٤٤)، وأحمد (٢٢١٥)، وابن حبان (٣٧١٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٩٥٩) وحسنه، والنسائي (٢٩١٩)، وأحمد (٥٧٠١)، وابن حبان (٣٦٩٨).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (٣٩٢٠)، وأحمد (١٥٣٩٨)، وابن خزيمة (٢٧٢١)، وابن حبان (٣٨٢٦)، والحاكم (١٦٧٣).

ومقام إبراهيم: وهو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم الخليل عليه السلام قائماً لما ارتفع البناء عن قامته، فوضع له ولده إسماعيل عليه السلام هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والملتزم: وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، وقدره نحو أربعة أذرع.

وقال مجاهد: «كأنوا يلتزمون ما بين الركن والباب ويدعون»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإن أحب أن يأتي الملتزم - وهو ما بين الحجر الأسود والباب - فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣/٢٣٦)،

فَعَلَ ذَلِكَ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ طَوَافِ الْوَدَاعِ؛ فَإِنَّ هَذَا
الِاتِّزَامَ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ حَالَ الْوَدَاعِ أَوْ غَيْرِهِ، وَالصَّحَابَةُ
كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حِينَ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ^(١).

وَالْحِجْرُ: وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى شَكْلِ نَصْفِ دَائِرَةٍ شِمَالِ الْكَعْبَةِ،
يَقَعُ بَيْنَ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ، وَهُوَ مِنَ الْكَعْبَةِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَدْخَلَ الْبَيْتَ
فَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي، فَأَدْخَلَنِي فِي
الْحِجْرِ، فَقَالَ لِي: «صَلِّي فِي الْحِجْرِ إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ،
فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ»^(٢).

وَعَلَيْهِ: فَلَا يَجُوزُ لِلطَّائِفِ بِالْبَيْتِ فِي حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ طَوَافٍ
نَقْلَ أَنْ يَطُوفَ دَاخِلَ الْحِجْرِ، وَلَا يُجْزئُهُ ذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ؛ لِأَنَّ
الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَالْحِجْرَ مِنَ الْبَيْتِ.

قَالَ عَطَاءٌ، فِي رَجُلٍ طَافَ فَكَانَ مِنْ طَوَافِهِ دُخُولًا فِي الْحِجْرِ
قَالَ: «لَا يُعْتَدُّ بِمَا كَانَ مِنْ دُخُولِ الْحِجْرِ»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٤٢/٢٦)

(٢) صحيح لغيره: رواه أبو داود (٢٠٢٨)، والترمذي (٨٧٦) وصححه،
والنسائي (٢٩١١)، وأحمد (٢٤٦١٦)، والطيبالسي (١٦٦٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٢/٣).



والصِّفا والمروّة: وهما جبلان مُتقابلان معروفان بمكّة، والمسافة بينهما ٣٩٤ متراً، وبينهما يكون السَّعي في الحجِّ والعمرّة، بدايةً بالصِّفا، وانتهاءً بالمروّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وماءُ زمزم: وهو خيرُ ماءٍ على وجه الأرض، وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي زَمَزَمَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٌ»^(١).

وقال مُجاهدٌ: «زَمَزَمٌ لِمَا شَرِبْتَ لَهُ، إِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ الشِّفَاءَ شَفَاكَ اللَّهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطْعَهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ تُشْبِعَكَ أَشْبَعْتَكَ، هِيَ هَزْمَةٌ جَبْرِيَلٌ^(٢)، وَسُقْيَا اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ»^(٣).

وقد انطلقت دعوة التوحيد من البلد الحرام منذ بعثته النبي

(١) رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٢) أي: صرّبها برجله فنبع الماء. النهاية (٥/٢٦٣).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/١١٨)، أخبار مكة للأزرقي (٢/٥٠).

عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَتَّى عَمَّتْ كُلَّ مَكَانٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

«وَأُمَّ الْقُرَى»، يَعْنِي: مَكَّةَ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَمِنْ سَائِرِ طَوَائِفِ بَنِي آدَمَ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَقَالَ: ﴿لِأُنذِرْكُمْ بِهِءٍ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]»^(١).

وَمَا زَالَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ تُرْفَرُفُ عَالِيَةً خَفَاقَةً فَوْقَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَفَوْقَ كُلِّ رُبُوعِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشُّعُودِيَّةِ، وَيَشَعُّ نُورُ التَّوْحِيدِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى بَقَاعِ الْأَرْضِ.

وَمَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ ثَانِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَفُرَّةُ الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ؛ فَهُنَاكَ أَشْرَقَ نُورُ الْإِيمَانِ، وَتَمَّ نَزُولُ الْقُرْآنِ، وَهُنَاكَ عَاشَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَاتَ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

وَالْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، قَالَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٠١).

تَعَالَى عَنْ مَسْجِدِ الضَّرَارِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ
وَمُحَارَبَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، ثُمَّ قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ
فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ
الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ
الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا»، لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»^(٢).

وَهَذَا الْفَضْلُ يَشْمَلُ مَسْجِدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدَ قُبَاءٍ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ
مَسْجِدِي هَذَا»، يُرِيدُ أَنَّهُ أَكْمَلُ فِي هَذَا الْوَصْفِ مِنْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ
وَمَسْجِدِ قُبَاءٍ أَيْضًا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَبِسَبَبِهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ.

فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أُسِّسَ

(١) رواه مسلم (١٣٩٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩٩) وصححه، والنسائي (٦٩٧)، وأحمد

(١١٨٤٦).

عَلَى التَّقْوَى دُونَ مَسْجِدِهِ فَذَكَرَ أَنَّ مَسْجِدَهُ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ هُوَ
الْمُؤَسَّسَ عَلَى التَّقْوَى فَقَوْلُهُ: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾
يَتَنَاوَلُ مَسْجِدَهُ وَمَسْجِدَ قُبَاءَ، وَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى، بِخِلَافِ مَسَاجِدِ الضَّرَارِ»^(١).

والصلاة في المسجد النبوي أفضل من ألف صلاة فيما سواه
من المساجد، إلا المسجد الحرام:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةٌ
فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ»^(٢).

وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها؛
لعظيم فضلها، ومكانتها عند الله تعالى:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُشَدُّ
الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٦٨، ٤٦٩).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٣) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

وفيه الروضة الشريفة: وهي بقعة مباركة، رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْمَازِنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ». رواه البُخَارِيُّ (١١٩٥)، ومُسلَّمٌ (١٣٩٠).

ومسجد قباء مَسْجِدُ شَرِيفٍ فَاضِلٌ، كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهِ وَيصلي فيه.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَا شِئًا وَرَاكِبًا» وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «يَفْعَلُهُ»^(١).

وفي رواية: «فَيَصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ»^(٢).

وعن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ - مَسْجِدَ قُبَاءٍ - فَصَلَّى فِيهِ، كَانَ لَهُ عَدْلٌ عُمْرَةً»^(٣).

(١) رواه البُخَارِيُّ (١١٩٣)، ومُسلَّمٌ (١٣٩٩).

(٢) رواه البُخَارِيُّ (١١٩٤)، ومُسلَّمٌ (١٣٩٩).

(٣) صحيح بشواهده: رواه النسائي (٦٩٩)، وأحمد (١٥٩٨١)، والحاكم (٤٢٧٩) وصححه، ووافقه الذهبي.

وَحُبُّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَلِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ
نَابِعٌ مِنْ حُبِّهِمْ لِنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاشْتِيَاقِهِمْ لِرُؤْيَيْهِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَدَّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ
يُكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(١).

وَمَا أَنْ يَحْطُوا رِحَالَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ إِلَّا وَيُسْرِعُونَ
زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ؛ لِيَرَوْا وَاشْتَوْقَهُمْ، وَيَقْضُوا
مِنْهُ وَطَرَهُمْ.

فَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ دَائِمُ الشَّوْقِ إِلَى الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ، فَقَدْ
امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِتَعْظِيمِهِمَا وَاحْتِرَامِهِمَا وَالشَّوْقِ وَالْحَنِينِ إِلَيْهِمَا، إِذَا
رَأَى عَلَى الشَّاشَةِ الْكَعْبَةَ الْمُشْرِفَةَ وَحَوْلَهَا الطَّائِفُونَ، وَإِذَا رَأَى
الصَّفاَ وَالْمَرَوَةَ يَسْعَى بَيْنَهُمَا الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَمِرُونَ، وَإِذَا رَأَى
الرَّوْضَةَ الشَّرِيفَةَ يُصَلِّي فِيهَا الْعَابِدُونَ، إِذَا رَأَى تِلْكَ الْمَشَاهِدَ
الْعِظَامَ حَنَّ قَلْبُهُ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُسِّرَ لَهُ الذَّهَابَ
مَعَ الذَّاهِبِينَ، وَالطَّوْفَ مَعَ الطَّائِفِينَ.

وَلِرَبِّمَا ظَلَّ أَحَدُهُمْ يَدَّخِرُ الْمَالَ، وَيَجْمَعُ الْقَلِيلَ إِلَى الْقَلِيلِ

(١) رواه مسلم (٢٨٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في الزمنِ المُمْتَدِّ الطَّوِيلِ، حَتَّى يُيسِّرَ اللهُ لَهُ الْحَجَّ أَوْ الْعُمْرَةَ
وَالزِّيَارَةَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ التِّجَارَةَ مَعَ اللهِ هِيَ أَرْبِحُ تِجَارَةٍ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا فِي
عُمْرَتِهَا: «إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ»^(١).

ويحرصُ الحَاجُّ والمُعْتَمِرُ والزَّائِرُ عَلَى تَعَلُّمِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ
وَالْعُمْرَةِ وَأَدَابِ الزِّيَارَةِ؛ لِيَقَعَ عَمَلُهُ مَقْبُولًا عِنْدَ اللهِ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ
لَا يُقْبَلُ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا لِلَّهِ، مُوَافِقًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ، لَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيْعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢).

إِلَيْكَ، وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ

وَمِنْكَ، وَإِلَّا فَالْمُؤَمِّلُ خَائِبٌ

(١) رواه الحاكم (١٧٣٣) وصححه، وهو في الصحيحين، ولفظه -واللفظ
للبخاري-: عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَصُدُّرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ،
وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ! فَقِيلَ لَهَا: «انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهَّرْتِ، فَأَخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ،
فَأَهْلِي ثُمَّ اتَّبِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكَ أَوْ نَصَبِكَ».

(٢) تفسير ابن كثير (٢٠٥/٥).

وَفِيكَ، وَإِلَّا فَالرَّجَاءُ مُضَيِّعٌ
وَعَنكَ، وَإِلَّا فَالْمُحَدِّثُ كَاذِبٌ
فِيمَ لَنَا سَبْعٌ: فَأَوَّلُ قِيَمَةٍ:
تَعْظِيمُنَا لَشُعَائِرِ الرَّحْمَنِ
وَالْمَسْجِدَيْنِ النَّبِيِّينِ، فَبِالْهُدَى
وَمَعَالِمِ التَّوْحِيدِ يَأْتَلِقَانِ
عُمِرَتْ بِحُبِّهِمَا الْقُلُوبُ فَفِيهِمَا
زَيْنُ الْوَقَارِ وَحَلِيَّةُ الْإِيمَانِ



القيمة الثانية إِتْقَانُ الْعَمَلِ

الإِتْقَانُ: هو الإِحْكَامُ لِلْأَشْيَاءِ، وَأَتَقَنَ عَمَلَهُ، أَي: أَحْكَمَهُ (١).
والعملُ الْمُتَقَنُ هو الْمُحْكَمُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، بِحَيْثُ يَخْلُو مِنَ
الْخَلَلِ، وَبِحَيْثُ يُؤْتِي ثَمَارَهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.
إِنَّ الإِتْقَانَ سِمَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي الْمُسْلِمِ، وَمَبْدَأٌ ثَابِتٌ لَهُ، يَدُلُّ
عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِ، وَتَمَامِ إِحْسَانِهِ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ أُسَاسِيَّةٌ فِي دِينِ
الإِسْلَامِ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ شَرَائِعَ وَأَحْكَامٍ.
فَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِالإِتْقَانِ فِي كُلِّ عَمَلٍ: تَعْبُدِيٍّ، أَوْ سُلوْكِيٍّ،
أَوْ مَعَاشِيٍّ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ أُخْرَوِيٍّ.

ودلائلُ الشَّرْعِ تدلُّ عَلَى أَنَّ الإِتْقَانَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ:

فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَتَقَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى

(١) ينظر: مجمل اللغة (ص: ١٤٩)، المحكم (٦/٣٣٩)، لسان العرب (١٣/٧٣)،
القاموس المحيط (ص: ١١٨٣).

الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿ [النمل: ٨٨].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿أَتَقَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ﴾ يَقُولُ: أَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ^(١).

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، وَعَطَاءِ
الْخُرَّاسَانِيِّ، وَالشَّوْرِيِّ، مِثْلُ ذَلِكَ».

وَقَالَ الزَّجَّاجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(حَكِيمٌ) بِمَعْنَى: مُحْكِمٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى
مُحْكِمٌ لِلْأَشْيَاءِ مُنْقِنٌ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ﴾»^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ
مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، قَالَ: «أَتَقَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقَهُ»^(٣).

(١) تفسير الطبري (١٣٨/١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٩٣٣/٩).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٥٩٨/١٨).

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

«أَيُّ: خَلَقَهُ مُقَدَّرًا، أَيُّ: مُحْكَمًا مَضْبُوطًا صَالِحًا لِمَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، لَا تَفَاوُتَ فِيهِ وَلَا خَلَلٌ»^(١).

وقال قتادة في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾: «مِنْ خَلْقِهِ وَصَلَاحِهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ»^(٢).

اللَّهُ أَحْكَمَ خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ

صُنْعًا، وَأَثَقَنَ أَيَّمَا إِثْقَانِ

والله تعالى أثنى كتابه العزيز وأحكمه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ عَائِيَّتُهُ﴾ [هود: ١].

«أَيُّ: أُثِقِنْتُ وَأُحْسِنْتُ»^(٣).

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(١) التحرير والتنوير (١٨/٣١٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٦٦٢).

(٣) تفسير السعدي (ص٣٧٦).

«وَالْحَكِيمُ: هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْأَشْيَاءَ مَنَازِلَهَا؛ لِأَنَّ الْحَكِيمَ مَأْخُودٌ مِنَ الْإِحْكَامِ وَهُوَ الْإِتْقَانُ، وَإِتْقَانُ الشَّيْءِ أَنْ يُنَزِّلَهُ مَنَزَلَتَهُ»^(١).

وكلُّ عملٍ -دُنْيَوِيًّا كَانَ أَوْ أُخْرَوِيًّا- عَامِلُهُ مَأْمُورٌ بِإِتْقَانِهِ، وَمُرَغَّبٌ فِي إِكْمَالِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَمُجَازٍ الْعَامِلَ عَلَى حَسْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

واللهُ تَعَالَى يُحِبُّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتِقَنَهُ»^(٢).

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ الْعَمَلِ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ هَمُّهُ فِي إِحْكَامِهِ وَتَحْسِينِهِ»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٦/٢٦).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٢٣٣)، وفي إسناده لين.

(٣) حلية الأولياء (٨/١٥٣).

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ السَّلْفُ يَوْصُونَ بِاتِّقَانِ الْعَمَلِ وَتَحْسِينِهِ دُونَ مُجَرَّدِ الْإِكْتِثَارِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ مَعَ التَّحْسِينِ وَالْإِتِّقَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ عَدَمِ الْإِتِّقَانِ»^(١).

وَإِتِّقَانُ الْعَمَلِ مِنَ الْإِحْسَانِ الْمَأْمُورِ بِهِ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَمْرٌ عَامٌّ يَشْمَلُ تَحْسِينَ الْأَعْمَالِ وَإِتِّقَانَهَا، سِوَاءَ كَانَتْ دُنْيَوِيَّةً أَمْ أُخْرَوِيَّةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ عَاخِذِينَ مِمَّا آتَيْنَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٦].

«وَالْإِحْسَانُ (إِفْعَالٌ) مِنَ الْحُسْنِ، وَيُسْتَعْمَلُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: إِحْسَانُ الْعَمَلِ وَإِتْيَانُهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِكْمَالِ وَالْإِتِّقَانِ، كَقَوْلِهِمْ: أَحْسَنْتُ كَذَا وَفِي كَذَا، وَمِنْهُ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ».

(١) تفسير ابن رجب (١/٤٢٣).

وثنائيهما: بمعنى الإنعام على الغير؛ كقولهم: أحسنتُ إلى فلان: إذا فعلت معه ما يحسُنُ فعله.

والمرادُ هنا الأوَّل؛ إذ حاصله راجعٌ إلى إتقانِ العباداتِ وإتيانها على الوجهِ الأكمل^(١).

وعن شدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ عَزَّجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ»^(٣).

«كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»:

قال بعضُ العلماءِ: «أَي: كَتَبَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

وقال أبو العباسِ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الإحسانُ هنا بمعنى: الإحكام، والإكمال، والتَّحسين في الأعمالِ المَشْرُوعَةِ، فحقُّ

(١) لمعات التنقيح (٢٠٨/١).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٩٢/٤)، ومن طريقه رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٥/٧)، وأبو بكر الأنصاري في أحاديث الشيوخ (٣٠١).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح (٢٦٤٩/٦)، حاشية السندي على ابن ماجه (٢٨٢/٢).



مَنْ شَرَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَنْ يَأْتِيَ بِهِ عَلَى غَايَةِ كَمَالِهِ، وَيَحَافِظَ عَلَى
آدَابِهِ الْمُصَحَّحَةِ وَالْمُكْمَلَةِ، وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ عَمَلِهِ، وَكَثُرَ
ثَوَابُهُ»^(١).

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ شَرَعَ
الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مُحْسِنًا لِمَا تَقُومُ بِهِ»^(٢).

وَمَنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ أَجَادَهُ وَأَتَقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ، وَسَعَى فِي إِتْمَامِهِ
عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا دَأْبَهُ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ حَالَهُ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ
نِعْمَتَهُ، وَوَفَّقَهُ فِي عَمَلِهِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُحْسِنُ الْعَمَلَ وَلَا
يُتَقَنُهُ، فَقَدْ يُسِيءُ فَيُضْمَنُ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ
ضَامِنٌ»^(٣).

وانطلاقاً من هذا المبدأ الشرعيِّ الحكيم، وهذا الأصل

(١) المفهم (٥/ ٢٤٠).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٤).

(٣) حسن لغيره: رواه أبو داود (٤٥٨٦)، والنسائي (٤٨٣٠)، وابن ماجه

(٣٤٦٦)، والحاكم (٧٤٨٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

الْمَرْعِيُّ الْقَوْمِ، حَرَصَ الْقَائِمُونَ عَلَى شُؤُونِ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ عَلَى إِحْكَامِ الْعَمَلِ وَإِتْقَانِهِ، وَتَكْمِيلِهِ وَإِحْسَانِهِ، فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ، مِنْ تَرْسِيخِ الْبِنَايَاتِ، وَتَوْسِيعِ الْمَسَاحَاتِ، وَالْفَرَشِ وَالْإِنَارَةِ، وَالنَّظَافَةِ وَالطَّهَارَةِ، وَالتَّهْوِيَةِ وَالتَّكْيِيفِ، وَكُلِّ مَا يُرِيحُ الْمُصَلِّينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ، وَالطَّائِفِينَ وَالسَّاعِينَ.

وَقَبْلَ كُلِّ هَذَا أَعَدُّوْا لَهُمْ مَا يُقَوِّي إِيمَانَهُمْ، وَيُنِيرُ بَصَائِرَهُمْ مِنْ: الْأُمَّةِ الْحَفَاطِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَجْذِبُونَ الْقُلُوبَ بِجَمَالِ أَصْوَاتِهِمْ، وَإِتْقَانِ تِلَاوَاتِهِمْ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وَبِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَتِّبُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١).

وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ لِلنَّاسِ أُمُورَ دِينِهِمْ، عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وأحمد (١٨٤٩٤)، وعلقه البخاري في صحيحه (١٥٨/٩).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُونُوا رَبَّنِيَّينَ»: حُلَمَاءُ
فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ
كِبَارِهِ»^(١).

وَالْفُقَهَاءُ الْمُفْتِينِ الَّذِينَ يُجِيبُونَ عَنْ أَسْئَلَتِهِمْ، وَيُوضِّحُونَ
لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فَكُلُّ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يَتَعَلَّقُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مُرَاعَى
فِيهِ الْإِتْقَانُ وَالْإِحْكَامُ وَالْإِحْسَانُ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ الْمُتَقِنُ بِمُرَاعَاةِ
الْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ وَالصَّغِيرَةِ، فَلَا مَجَالَ لِلْفَوْضَى وَلَا الْعَبَثِيَّةِ وَلَا
الْإِهْمَالِ.

وَالْمَسْؤُولُ إِذَا كَانَ نَاجِحًا فِي مِهْنَتِهِ مُتَقِنًا لِعَمَلِهِ، أَحَبَّهُ النَّاسُ،
وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ.

وَإِذَا كَانَ النَّاسِكُ يُؤَدِّي نُسْكَهَ بِكُلِّ سُهولةٍ وَيُسْرٍ، مُرْتَفِقًا
بِهَذِهِ الْمَرَاقِ الْمُتَقِنَةِ، وَالْمَجَالَاتِ الْمُحْكَمَةِ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسِيرَ
عَلَى الدَّرَبِ نَفْسِهِ: دَرَبِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ، فَيَتَقَنَ الشَّعَائِرَ،

(١) ينظر: صحيح البخاري (١/٢٤).

ويضبطُ المناسكَ، ولا يُفَرِّطُ في السُّنَنِ والمُستَحَبَّاتِ، فضلاً
عن الأركانِ والواجباتِ، فإذا عادَ إلى بلده سالماً غانماً، فلعله
أن يتَّخَذَ مِنَ الإِتْقَانِ مَبْدَأً في حَيَاتِهِ، بعدَ أن رأى ذلكَ في الحَرَمِينَ
الشَّرِيفِينَ، ويتَّجَنَّبَ الإِهْمَالَ والتَّضْيِيعَ، ويحكي لأهله ما رأى
وعايشَ من صُنُوفِ الإِتْقَانِ والإِحْسَانِ المُهِمِّينِ في أرضِ
الحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ.

وَكَذَلِكَ مِنْ قِيَمٍ لَنَا: إِنْتِقَانًا

فَتَحَقَّقُ الأَعْمَالَ بِالإِتْقَانِ

فَالكُونُ حَوْلَكَ - لَوْ تَفَكَّرُ - مُتَّقِنٌ

فَأَسْأَلُكَ سَبِيلَ الحِدْقِ وَالإِحْسَانِ

وَاحْذَرُ مِنَ العَبَثِ المُضْيِعِ لِأَهْلِهِ

كَيْلًا تَبُوءَ بِحَسْرَةِ الخِذْلَانِ



القيمة الثالثة حُبُّ الْهِدَايَةِ

لَقَدْ خَلَقْنَا اللَّهَ لِعِبَادَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وََالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَأَمَرْنَا بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وَأَرْسَلَ لَنَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِيَهْدِيَ النَّاسَ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ،
فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ مَادِحًا إِيَّاهُ وَمُثْنِيًا عَلَيْهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ
إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وَأَنْزَلَ لَنَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ، النُّورَ الْمُبِينَ، الْهَادِيَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ
وَصَلَاحٍ، وَفُوزٍ وَنَجَاحٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَجَعَلَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مَنَارَةً لِلْعِلْمِ وَالْهِدَايَةِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾



[آل عمران: ٩٦]، فهو قَبْلَتُهُمْ ومُتَعَبِّدُهُمْ، ولأنَّ فيه آياتٍ عَجِيبَةً دَالَّةً عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَبَالِغِ حِكْمَتِهِ.

وقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ وَتَقْدِيمِ الْخَيْرِ لَهُمْ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ، لَأَنَّ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(١).

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الهِدَايَةُ: الدَّلَالَةُ وَالْإِرْشَادُ. وَالنَّعَمُ: هِيَ الْإِبِلُ، وَحُمْرُهَا: هِيَ خِيَارُهَا حُسْنًا وَقُوَّةً وَنَفَاسَةً؛ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ عِنْدَ الْعَرَبِ.

ويعني به -والله أعلم-: أنَّ ثَوَابَ تَعْلِيمِ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَإِرْشَادِهِ لِلْخَيْرِ، أَعْظَمُ مِنْ ثَوَابِ هَذِهِ الْإِبِلِ النَّفِيسَةِ لَوْ كَانَتْ لَكَ فَتَصَدَّقْتَ بِهَا؛ لِأَنَّ ثَوَابَ تِلْكَ الصَّدَقَةِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهَا، وَثَوَابَ الْعِلْمِ وَالْهُدَى لَا يَنْقَطِعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وإنَّ مِنْ أَبْرَزِ عِلَامَاتِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ: أَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْرَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

(١) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) المفهم (٦/٢٧٦).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

ويُحِبُّ لِلنَّاسِ الْهِدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ، فَهَذَا مُؤْمِنٌ آلِ يَاسِينَ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، لَمَّا عَايَنَ كِرَامَةَ اللَّهِ: ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

قَالَ قَتَادَةُ: «فَلَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا، وَلَا تَلْقَاهُ غَاشًّا، فَلَمَّا عَايَنَ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ، ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾، تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا عَايَنَ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ»^(٢).

وهذا مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ يَقُولُ لِقَوْمِهِ نَاصِحًا لَهُمْ، مُحِبًّا لَهُمْ الْهِدَايَةَ وَالنَّجَاةَ: ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُنْزَلُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٣٤﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣].

فَالْأَنْبِيَاءُ وَالِدُّعَاةُ هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، وَصَالِحُونَ مُصْلِحُونَ، قَالَ

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تفسير الطبري (١٩/٤٢٥).

تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وها هم القائمون على شؤون الحرمين الشريفين يسرون على طريق الأنبياء والسلف الصالح، فيحبون الهداية للناس، ويدلونهم على خالقهم، ويقدمون لهم كل ما يعينهم على عبادة ربهم. فالأئمة في الحرمين يصدقون بالقرآن الكريم ويرتلونه ترتيلاً، فيتردد في الإذاعات والقنوات في أرجاء الأرض؛ ليتذكر به أولو النهى، وتقوم به الحجة على العالمين.

والعلماء والدعاة في الحرمين يدعون الناس إلى صراط الله، ويشرحون لهم دين الله بأسلوب سهل يسير، يفهمه الصغير والكبير، لا سيما في المواسم والزحام، واجتماع أمة الإسلام، فيتعلمون منهم أحكام الحج والعمرة والزيارة، وسائر أمور الدين بأوضح عبارة؛ ليعبدوا الله على بصيرة وبيّنة، مقتنين بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث أمره ربه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

أَتَّبَعَنِي ۖ وَسُبَّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْحِجَنِ، أَمْرًا لَهُ أَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ: أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ، أَيُّ: طَرِيقُهُ وَمَسْلُكُهُ وَسُنَّتُهُ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَدْعُو إِلَى اللهِ بِهَا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَقِينُ وَبُرْهَانٍ، هُوَ وَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَهُ، يَدْعُو إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينُ وَبُرْهَانٍ شَرْعِيٍّ وَعَقْلِيٍّ»^(١).

وعُلَمَاءُ الْحَرَمِينَ ودُعَاتُهُمَا يدْعُونَ النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، مُمَثِّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فَالْمُسْتَجِيبُ الْقَابِلُ الَّذِي لَا يُعَانِدُ الْحَقَّ وَلَا يَأْبَاهُ، يُدْعَى بِطَرِيقِ الْحِكْمَةِ.

وَالْقَابِلُ الَّذِي عِنْدَهُ نَوْعُ غَفْلَةٍ وَتَأَخَّرٍ يُدْعَى بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَهِيَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَقْرُونُ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٢٢).

وَالْمُعَانِدُ الْجَاهِدُ يُجَادِلُ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ^(١).

إِنَّ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَتِهِ وَهِدَايَتِهِ هُوَ الرَّفْقُ وَاللِّينُ،
مُسْتَجِيبًا لِرَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
[الشعراء: ٨٨]، فَاسْتَأْلَفَ بِذَلِكَ الْقُلُوبَ، وَحَنَّتْ لَهُ الْأَرْوَاحُ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

«أَيُّ: بِرَحْمَةِ اللَّهِ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْنَتَ
لَهُمْ جَانِبَكَ، وَخَفَضْتَ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَتَرَفَّقْتَ عَلَيْهِمْ،
وَحَسَّنْتَ لَهُمْ خُلُقَكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ وَأَحْبَبُوكَ وَامْتَثَلُوا أَمْرَكَ،
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾، أَيُّ: سَيِّءَ الْخُلُقِ ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، أَيُّ:
قَاسِيَةٍ، ﴿لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يُنْفِرُهُمْ»^(٢).

وَمِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدَّعْوَةُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الرَّقِيقَةِ النَّافِعَةِ،
فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْقَبُولِ وَالِاسْتِجَابَةِ، وَهِيَ صِدْقَةٌ مِّنَ الصَّدَقَاتِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صِدْقَةٌ»^(٣).

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة (١/١٥٣).

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٥٤).

(٣) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).



وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «البرُّ شيءٌ هينٌ: وجهٌ طليقٌ، وكلامٌ لينٌ»^(١).

ولذا ينبغي للحاج أن يحرص على انتقاء الكلمة الطيبة وهو يتحاور مع غيره من الحجاج والمسؤولين.

روى عبد الرزاق بن همام، عن أبيه، عن خلاد بن عبد الرحمن قال: سألت سعيد بن جبيرة، أي الحاج أفضل؟ قال: «من أطعم الطعام، وكف لسانه».

قال عبد الرزاق: وأخبرنا الثوري قال: «سمعنا أنه من بر الحجاج»^(٢).

وانتقاء أطيب الكلام من صفات المؤمنين الفائزين بالنعيم المقيم في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

وعن أبي شريح رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة؟

- (١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ١٨٠)، مكارم الأخلاق للخرائطي (ص ٦٤)،
شعب الإيمان للبيهقي (١٠ / ٤٠٥).
- (٢) مصنف عبد الرزاق (٥ / ١٠).

قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ، وَبَدَلُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»^(١).

ولذا كَانَ السَّلْفُ حَرِصِينَ أَلَّا تَخْرَجَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ كَلِمَةٌ
مَعِيْبَةٌ:

عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
سَفَرٍ، فَزَلَّ مَنْزِلًا، فَقَالَ لِعُلَامِيهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكَرَتْ
عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسَلَّمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِئُهَا
وَأَزْمُهَا، غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ»^(٢).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «أَخْبَرَنِي مَنْ صَحِبَ الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ
عِشْرِينَ عَامًا، مَا سَمِعَ مِنْهُ كَلِمَةً تُعَابُ»^(٣).

وَمِنْ حِرْصِ الْمَسْئُولِينَ فِي الْحَرَمِينَ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ
وَدَعْوَتِهِمْ بِالْحِكْمَةِ: إِعْدَادُهُمُ الْهَدَايَا الْقِيَمَةَ مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
النَّافِعَةِ، وَالرَّسَائِلِ الْمُفِيدَةِ، فَالْهَدِيَّةُ مِنْ أَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ.

(١) حسن: رواه ابن حبان في صحيحه (٥٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١١).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٧١١٤)، وابن المبارك في الزهد (ص ٢٨٩)، وابن
قتيبة في عيون الأخبار (٣٠٤ / ٢)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ٢٢٣).

(٣) الطبقات الكبرى (٢٢١ / ٦)، الزهد لأحمد (ص ٢٧٣)، الزهد لهناد
(٥٣٩ / ٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَهَادُوا نَحَابُوا»^(١).

وَمِنْ أَنْفَسِ الْهَدَايَا وَأَنْفَعِهَا: الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْكَلامُ الطَّيِّبُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟

قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فُلَانٌ يُقْرَأُ السَّلَامَ.

فَقَالَ: «هَدِيَّةٌ حَسَنَةٌ، وَمَحْمَلٌ خَفِيفٌ»^(٣).

(١) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو يعلى في مسنده (٦١٤٨)،

والدولابي في الكنى (٤٦٦/٢)، وابن عدي في الكامل (١٦٦/٥).

(٢) رواه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص ٥٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّمَا الْهَدِيَّةُ النَّافِعَةُ: كَلِمَةٌ يُهْدِيهَا الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»^(١).

قال الشاعر:

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
تُولَدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَصَالَا
وَتَزْرَعُ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوَدًّا
وَتَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا^(٢)

وقد حرص القائمون على شؤون الحرمين على إهداء الحجاج والمُعتمرين والزوار الكتب النافعة والرسائل الماتعة، التي تبصّرهم بأمور دينهم، بأسلوب سهل مبسّط، وبشكل موجز مختصر.

كما حرصوا على إعداد التطبيقات الإلكترونية والمقاطع المرئية، التي تُيسّر لهم تعلّم مناسكهم، بحيث تكون بين أيديهم مُثبتة على جوّالاتهم في كل مكان وزمان.

(١) الرسالة التبوكية (ص ٧٤).

(٢) ينظر: روضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٤٤)، التمهيد لابن عبد البر (١٣/١٤٣)،

تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/٢٥٦).

قِيمَ الحَرَمِينَ

وهكذا يحرص القائمون على شؤون الحرمین علی هداية
الناس بأيسر سبيلٍ وأجمل أسلوب؛ لتشرح لدعوتهم القلوب،
والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

مِنَ أَعْظَمِ الْقِيَمِ الْمُرَادِ رُسُوحُهَا
حُبُّ الْهَدَايَةِ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

وَنَوْدُ لَوْ نَالُوا السَّعَادَةَ فَاسْمَعُوا
سَمِعَ الْإِجَابَةِ دَاعِيَ الْإِيمَانِ

هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ مَوْصَلٌ
مَنْ سَارَ فِيهِ لَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ



القيمة الرابعة الحَفَاوَةُ

الحَفَاوَةُ: المُبَالِغَةُ فِي الإِكْرَامِ وَالإِلْطَافِ، يُقَالُ: حَفِيَ بِالرَّجُلِ حَفَاوَةً وَحِفَاوَةً وَحِفَايَةً، وَتَحَفَّى بِهِ وَاحْتَفَى: بَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَإِلْطَافِهِ، وَأَظْهَرَ الشُّرُورَ وَالْفَرَحَ بِهِ.

وَأَنَا بِهِ حَفِيٌّ، أَي: بَرٌّ مُبَالِغٌ فِي الكَرَامَةِ.

والتَّحَفَّى: الكَلَامُ وَاللِّقَاءُ الحَسَنُ.

الحَفِيٌّ: هُوَ اللِّطِيفُ بِكَ، يَبْرُكُ وَيُلْطِفُكَ وَيَحْتَفِي بِكَ.

وَحَفِيَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَحْفَى بِهِ حَفَاوَةً: إِذَا قَامَ فِي حَاجَتِهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ^(١).

وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَفَاوَةُ بِالصُّيُوفِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّ وَفَدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْقَوْمُ؟»، أَوْ «مَنِ الْوَفْدُ؟»

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٦٧/٥)، الصحاح (٢٣١٦/٦)، المحكم (٢٣/٤)، لسان العرب (١٨٧/١٤)، القاموس المحيط (ص: ١٢٧٥).

قَالُوا: رَبِيعَةٌ.

قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(١).

«غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى» أَي: غَيْرَ مُهَانِينَ وَلَا مَذْلُولِينَ وَلَا نَادِمِينَ، بَلْ مُكْرَمِينَ مُغْتَبَطِينَ فَرِحِينَ^(٢).

وَأَوَّلُ مَنْ احْتَفَى بِالضُّيُوفِ وَأَكْرَمَهُمْ خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ»^(٣).

وَقَالَ عِكْرَمَةُ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكْنَى أَبَا الضَّيْفَانِ، وَكَانَ لِقَصْرِهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ»^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

(٢) ينظر: مشارق الأنوار للقااضي عياض (١/٢٣٤)، المفهم للقرطبي (١/١٧٣)، التوضيح لابن الملقن (٢٨/٥٩٢).

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٣٤٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/٣٨٧).

(٤) قرئ الضيف لابن أبي الدنيا (ص ١٨)، الكنى والأسماء للدولابي (١/٢٣٠)، حلية الأولياء (٣/٣٣٦).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أْتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَتَوَلَّى خِدْمَتَهُمْ
بِنَفْسِهِ»^(١).

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا أَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ
فِي مَدْحِ مُضَيْفِ الضَّيْفِ وَحَمْدِهِ وَالشَّانِ بِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكُلُّهُمْ
يَنْدُبُ إِلَى ذَلِكَ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ؛
لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ»^(٢).

وَهَا هُمْ الْقَائِمُونَ عَلَى شُؤْنِ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ يَتَّبِعُونَ
هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَفَاوَةِ بِضِيُوفِ الرَّحْمَنِ، وَالْمُبَالِغَةِ
فِي مُعَامَلَتِهِمْ بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ.

فَأَهْلًا بِكُمْ وَمَرْحَبًا يَا أَكْرَمَ ضُيُوفٍ! حَلَلْتُمْ أَهْلًا وَنَزَلْتُمْ
سَهْلًا! وَطَبْتُمْ وَطَابَ مَمَشَاكُمْ، وَتَبَوَّأْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا!

مَرْحَبًا بِكُمْ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَوْمَ أَنْ اسْتَجَبْتُمْ لِنِدَاءِ
رَبِّكُمْ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَبِيرُ
لِيُخْبِرُوا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ وَأَبْلُغْ إِلَى الْعَذِيبِ رِجْلًا وَأُخْبِرْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ وَأَبْلُغْ إِلَى الْعَذِيبِ رِجْلًا
وَأُخْبِرْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ وَأَبْلُغْ إِلَى الْعَذِيبِ رِجْلًا﴾

(١) قرئ الضيف لابن أبي الدنيا (ص ١٩)، الترغيب والترهيب للأصفهاني
(٣/٣٢٣)، شعب الإيمان (١٢/١٤٧).

(٢) التمهيد (١٣/١٧٣).

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٢٨﴾
[الحج: ٢٧-٢٨]، تَارِكِينَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ أَوْطَانَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ!

قَدِمْتُمْ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ خَيْرَ مَقْدَمٍ! أَهْلًا حَلَلْتُمْ،
وَسَهْلًا وَطَمْتُمْ! بِلَادُ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ تَشْرَفُ بِكُمْ، قِيَادَتُهَا
وَشَعْبُهَا! وَمَهَابُطُ الْوَحْيِ وَمَنَابِعُ الرِّسَالَةِ تَزْدَانُ بِكُمْ، وَبِطَاحِ
مَكَّةَ وَرُبَاهَا وَسُهُولِهَا وَأَوْدِيَّتِهَا وَأَهْلِهَا تُحْيِيكُمْ! وَكَيْفَ لَا يَحِقُّ
لَهَا ذَلِكَ، وَسَمَاءُ مَكَّةَ تُدَوِّي بِجَلْجَلَةِ تَلْبِيَّتِكُمْ، وَأَوْدِيَّتُهَا تَضْجُ
بِدُعَائِكُمْ عَبْرَ حَنَاجِرِكُمْ الْمُؤْمِنَةِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا
شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ
لَكَ»!

يَا مَرْحَبًا بِكُمْ يَوْمَ أَنْ قَطَعْتُمْ الْفَيَافِي وَالْقَارَاتِ وَالْأَقْطَارِ، عَلَىٰ مَتَنِ الْأَجْوَاءِ وَالْبِحَارِ، تَبْتَغُونَ رَحْمَةَ
الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، رَبُّكُمْ وَاحِدٌ، وَدِينُكُمْ وَاحِدٌ، وَهَدْفُكُمْ وَاحِدٌ،
وَزَيْتُكُمْ وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُكُمْ وَاحِدَةٌ، لَا حَرَمَكُمُ اللَّهُ ثَوَابَ مَا تُوْمَلُونَ!

مَرْحَبًا بِكُمْ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ! حُجَّكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مَبْرُورٌ، وَذَنْبُكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ مَغْفُورٌ، فَتَحْسَبُكُمْ - وَاللَّهُ حَسِيبُكُمْ -

مِنَ الَّذِينَ: ﴿يَرْجُونَ تِجْرَةً لَّان تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

كَمْ بَدَلْتُمْ وَاجْتَهَدْتُمْ حَتَّىٰ بَلَغْتُمْ بِلَدِّ اللَّهِ الْحَرَامِ لِأَدَاءِ مَنَاسِكِ اللَّهِ!
فَلِسَانُ حَالِكُمْ يَقُولُ:

وَأَمْوَالُنَا مَبْدُولَةٌ وَنُفُوسُنَا

وَلَمْ نُبْقِ شَيْئًا مِنْهُمَا مَا بَدَلْنَاهُ

عَرَفْنَا الَّذِي نَبَغِي وَنَطْلُبُ فَضْلَهُ

فَهَانَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ بَدَلْنَاهُ

فَمَنْ عَرَفَ الْمَطْلُوبَ هَانَتْ سَدَائِدُ

عَلَيْهِ وَيَهْوَىٰ كُلُّ مَا فِيهِ يَلْقَاهُ

فهنيئاً لكم البدل في الحجِّ والعمرة! فهو من الإنفاق في
سبيل الله.

فقد امتنع أبو معقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن يعطي جملته لزوجه لتحجَّ
عليه؛ لأنه جعله في سبيل الله، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْطَاهَا
فَلْتَحَجَّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

(١) صحيح بشواهد: رواه أبو داود (١٩٨٨)، وأحمد (٢٧١٠٧)، من حديث
أم معقل الأسدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



قَالَ أَنَسُ بْنُ سِيرِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصَى إِلَيَّ رَجُلٌ بِمَالِهِ أَنْ أَجْعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْحَجَّ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاجْعَلْهُ فِيهِ»^(١).

فهنيئاً لكم إنفاقكم في الحجِّ والعمرة والزَّيَارَةِ! فهو في سَبِيلِ اللَّهِ، وهنيئاً لكم سَعْيِكُمْ إِلَى بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ فِي أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ! فهو في اللَّهِ ولله، إِذْ شَعَرْتُمْ فِيهِ: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

نَحُجُّ لِبَيْتِ حَجَّةِ الرَّسُلِ قَبْلَنَا

لنشهد نفعاً في الكتابِ وعِدناهُ

دَعَانَا إِلَيْهِ اللَّهُ قَبْلَ بِنَائِهِ

فَقُلْنَا لَهُ لَبَّيْكَ دَاعِ أَجْبَنَاهُ

يَلْقَاكُمْ إِخْوَانُكُمْ بِابْتِسَامَةِ الْمُشْتَقِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٢).

(١) رواه البغوي في الجعديات (١١٥١)، والطحاوي في أحكام القرآن (٣٦٩/١)، والبيهقي في السنن (١٢٦٠٥).

(٢) صحيح بطرقه: رواه الترمذي (١٩٥٦) وقال: «حسن غريب»، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٤).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ،
وَكَلامٌ لَيِّنٌ»^(١).

وقد قيل: «البَشَاشَةُ مَصِيدَةُ المَوَدَّةِ»^(٢).

ويعرفون ما أنتم عليه من الكلام الطيب ومكارم الأخلاق.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَفًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»^(٤).

وَيَقْبَلُونَ كَرَمَ أَخْلَاقِكُمْ بِمِثْلِهِ، فَيَسْعُونَ إِخْوَانَهُمْ بَبْسَطِ
الْوَجْهِ وَحُسْنِ الخُلُقِ.

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ١٨٠)، مكارم الأخلاق للخرائطي (ص ٦٤)،

شعب الإيمان للبيهقي (١٠ / ٤٠٥)، وقد تقدم.

(٢) الترغيب والترهيب للأصفهاني (٢ / ٤٢٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) صحيح لغيره: رواه الطبراني في الصغير (٦٠٥)، والأوسط (٤٤٢٢)، وأبو

نعيم في تاريخ أصبهان (٢ / ٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٣٥٦).



وعلى رأسِ حُسْنِ الْخُلُقِ: حُسْنُ الْمُعَامَلَةِ.

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي وَصْفِ حُسْنِ الْخُلُقِ: «هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى»^(٢).

وَسُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا إِكْرَامُ الضَّيْفِ؟

قَالَ: «طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ»^(٣).

وَحَيْرٌ مَا يُقَدِّمُونَهُ لَكُمْ مِنْ كِرَامَةٍ وَحَفَاوَةٍ: تَعْلِيمُكُمْ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ وَصِفَاتِهَا، وَفُرُوضَهَا وَهَيِّئَاتِهَا؛ لِتُؤَدِّوَهَا وَفَقًّا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِتَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّمَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَكَانَ مُوَافِقًا لِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي (١٩٨٧) وصححه، وأحمد (٢١٣٥٤)،

والدارمي (٢٨٣٣)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٣٦٣/٤)، وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٦٩).

(٣) روضة العقلاء (ص ٢٦١).

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ»^(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأْتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...»، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ فِي قَارِي الْقُرْآنِ، وَفِي الْمُنْفِقِ^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ».

فَلْيَحْرِصِ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ مُوَافِقًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجِّ وَغَيْرِهِ.

(١) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/١٤٠).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

ويقومُ العُلَمَاءُ بِالِإِجَابَةِ عَلَى أَسْئَلِكُمْ، وَحَلَّ اسْتِشْكَالَاتِكُمْ، فَمَهْمَا تَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَمَهْمَا حَجَّ وَاعْتَمَرَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْزِضَ لَهُ إِشْكَالٌ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى السُّؤَالِ، فَيَسْأَلُ أَهْلَ الْعِلْمِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ تَخْتَلَفِ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْعَامَّةَ عَلَيْهَا تَقْلِيدُ عُلَمَائِهَا، وَأَنَّهِمُ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(١).

وَالْمُفْتُونَ الثَّقَاتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مُتَوَافِرُونَ فِي كُلِّ الْمَشَاعِرِ، فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمُخِيَّمَاتِ وَالطَّرِيقَاتِ، وَعَبْرَ الْهَوَاتِفِ وَالتَّطْبِيقَاتِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فِي مَنَاسِكَهِ، فَلَنْ يَعْجَزَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مُفْتٍ ثَقَةٍ يُجِيبُ سؤَالَهُ، وَيُحَلُّ إِشْكَالَهُ.

وَلْتَحْذَرْ أَخِي الْحَاجُّ وَأَخِي الْمُعْتَمِرُ مِنْ سُؤَالِ الْعَوَامِّ، وَمِنْ اسْتِفْتَاءِ غَيْرِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَخَصِّصِينَ حَتَّى لَا يُضِلُّوكَ وَيُضِيعُوا عَلَيْكَ نُسُكَكَ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٨٨).

لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ
عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»^(١).

فاحذر مِمَّنْ يُفْتُونَ بِالْجَهْلِ أَوْ الْهَوَى؛ فَإِنَّهُمْ يَفْتُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ
هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وَأِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ الْمُتَخَصِّصُونَ، وَالْعُلَمَاءُ
الرَّبَّائِيُونَ، الَّذِينَ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]،
وَهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ مُتَوَافِرُونَ، وَلِلْإِجَابَةِ عَنْ
أَسْئَلَةِ الْحَجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ مُسْتَعِدُونَ.

وَحَفَاوَةٌ بِالْقَاصِدِينَ؛ فَإِنَّهُمْ

رَيْنُ الْبِلَادِ وَخَيْرَةُ الضِّيْفَانِ

مِثْلُ النُّجُومِ الزُّهْرِ حِينَ تَأَلَّقَتْ

خَيْرُ الْوُفُودِ لَصْفُوةِ الْبُلْدَانِ

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْجَمِيعِ وَمَرْحَبًا

أَكْرَمَ بِهِمْ وَفَدًّا عَلَى الرَّحْمَنِ

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.



القيمة الخامسة تَمَكِينُ الْفَرِيقِ

والمقصودُ به: تَمَتُّعُ الْمُؤَظَّفِينَ بِالْمَسْئُولِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ.

وَتَمَكِينُ الْفَرِيقِ يَقُومُ عَلَى مَنَحِ الْمُؤَظَّفِ الثِّقَةَ وَالِدَّعْمَ الْمَعْنَوِيَّ، وَتَحْفِيزَهُ لِإِبْرَازِ قُدْرَاتِهِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَعْدَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ!».^(١)

قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»^(١).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَا عُمَرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ!»^(٢).

(١) رواه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (١٧٧٦٣)، وابن حبان (٣٢١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كما يُؤدِّي تَمَكِينُ الْفَرِيقِ إِلَى اسْتِشْعَارِ كُلِّ مُوظَّفٍ مَسْئُولِيَّتِهِ
تَجَاهَ الْعَمَلِ؛ إِذْ يَسْتَشْعِرُ أَنَّهُ جِزْءٌ مُهِمٌّ مِنْ إِنْجَازِهِ وَإِنْجَاحِهِ، كَأَنَّهُ
عَمَلُهُ هُوَ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ مُوظَّفٍ فِيهِ.

وقد يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ:
«فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَبْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِسْنَادُ الْبَعْثِ إِلَيْهِمْ عَلَى طَرِيقِ
الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَبْعُوثُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا ذَكَرَ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا
فِي مَقَامِ التَّبْلِغِ عَنْهُ فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ؛ إِذْ
هُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قَبْلِهِ بِذَلِكَ، أَي: مَأْمُورُونَ»^(٢).

وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ الْفَرْدِيَّةَ وَالتَّخَلِّيَّ عَنْ رُوحِ الْفَرِيقِ أَوْ عَنْ
مَصْلَحَةِ الرِّئَاسَةِ؛ فَالْإِنْسَانُ لَا يَرَى تَقْصِيرَ نَفْسِهِ، وَالْيَدُ الْوَاحِدَةُ
لَا تُصَفِّقُ.

وهذا نبيُّ الله مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو مِنْ أُولِي الْعِزْمِ مِنَ
الرُّسُلِ - يَحْتَاجُ إِلَى مُعِينٍ فِي آدَاءِ رِسَالَتِهِ، حَيْثُ قَالَ فِي دُعَائِهِ
فِي مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ

(١) رواه البخاري (٢٢٠).

(٢) فتح الباري (١/٣٢٤).

أَخِي ﴿٣٥﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣٦﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٧﴾ [طه: ٢٩-٣٢]،
 وقال: ﴿وَأَخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا
 يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ سَدَّشُدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ
 وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ أَتْبَعَكُمَا
 الْغَلْبِيُّونَ ﴿٣٩﴾ [القصص: ٣٤-٣٥].

فَتَمَكِينُ الْفَرِيقِ يَمْنَحُ الْمُوظَّفَ الثِّقَةَ، لَكِنْ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى
 الْأَنْبِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ، فَهُوَ يَتَخَلَّى عَنِ الْفَرْدِيَّةِ، وَيَحْمِلُهُ هَذَا عَلَى
 التَّعَاوُنِ وَتَقْدِيمِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَمَصْلَحَةِ الرَّئَاسَةِ، وَاعْتِمَادِ
 مَنَهْجِيَّةِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، الْمُتَنَاعِمِ فِي أَعْمَالِهِ وَمَوَاقِفِهِ.

فَمِمَّا يُوصَى بِهِ رِجَالُ الْأَمْنِ، وَالْمُشْرِفُونَ عَلَى حَمَلَاتِ
 الْحُجَّاجِ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَقُومُونَ بِخِدْمَةِ الْقَاصِدِينَ: الْمُبَادَرَةُ
 إِلَى خِدْمَةِ النَّاسِ، وَمُرَاعَاةُ فَنِّ عِلَاجِ الْمَشْكَالَاتِ، وَالْفِطْنَةُ
 وَسُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ فِي حَلِّهَا، وَالْقُدْرَةُ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ الْمُنَاسِبِ فِي
 الْأَحْدَاثِ الْمُخْتَلِفَةِ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا سَبَاقِينَ دَائِمًا، لَا يَنْتَظِرُونَ مِنَ الْحُجَّاجِ أَنْ
 يُطَالِبُوهُمْ بِمَا يُرِيدُونَ، بَلْ إِذَا وَجَدُوا مَشْكَلَةً بَادَرُوا: هَلْ تَحْتَاجُ
 مُسَاعَدَةً؟

فظروف الحج كثيرة، وقد يكون هناك مفاجآت غير متوقعة،
فينبغي أن يكون رجل الأمن والمشرف وغيرهما على قدر من
الذكاء والفطنة، التي تمكنه من التعامل مع جميع الظروف
والأحوال.

وهذا بحمد الله موجودٌ موفورٌ، معروفٌ غير منكورٍ.

ومن الجوانب العملية في حل مشاكل الحجاج:

- ألا يُعالج الخطأ بخطأ مثله أو أكبر منه؛ فالقاعدة الشرعية:
«أَنَّ الضَّرَرَ لَا يُزَالُ بِالضَّرْرِ»، ولا يُزال بمثله، فمن باب أولى:
ألا يُزال بما هو أكبر منه.

- اجتناب الظلم؛ فهو خلق ذميم، والظلم ظلمات يوم
القيامة.

- عدم التمييز أو التفريق بين المتخاصمين بسبب جنس أو
وطن أو لون أو نوع؛ بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَمَا يُسَاعِدُ عَلَى ذَلِكَ:



* الحرص على الشورى مع زملائه في العمل، قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فغيره
أحوج للشورى.

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بصفات، منها: أنهم يتشاورون
فيما بينهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «مَا حَزَبَ قَوْمًا قَطُّ أَمْرٌ
فَاجْتَمَعُوا، فَتَشَاوَرُوا فِيهِ، إِلَّا أُرْشِدَهُمُ اللَّهُ لِأَصْوَابِهِ»^(١).
* إتاحة الفرصة لإبداء الرأي.

* الثبات على القرار وتحمل عواقبه، وعدم التردد بعد اتخاذ
القرار.

* مراعاة الحالة النفسية للناس والنتائج السلبية للقرار.

وقد حث الإسلام على أن يكون المؤمنون بعضهم سندا
لبعض، وأن يقوي بعضهم بعضا:

(١) روضة العقلاء (ص ١٩٢).



فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ
لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ^(١).

وَهُوَ مِنَ التَّكَامُلِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ مِنْ مِرَاةِ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْ أُخُو
الْمُؤْمِنِ، يَكْفُفُ عَلَيْهِ ضِعْفَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»^(٢).

إِنَّ تَكَامُلَ الْفَرِيقِ وَتَعَاوُنَهُ وَتَنَاغُمَهُ يَجْعَلُهُ كَأَعْضَاءِ الْجَسَدِ
الْوَاحِدِ.

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ،
وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطِفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا، تَدَاعَى
لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(٣).

فَكُلُّ عَضْوٍ فِي الْفَرِيقِ يُؤَدِّي مَهَامَّهُ بِإِخْلَاصٍ وَجِدِّيَّةٍ، وَنَشَاطٍ
وَخَيَوِيَّةٍ، فِي ضَوْءِ عَمَلِ الْفَرِيقِ؛ فَإِنَّهُمْ يَسِيرُونَ مَعًا عَلَى جَادَةِ
الطَّرِيقِ، حَتَّى يُكْمَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا يَبْتَغُونَ، وَلَا يَهْدَمُ بَعْضُهُمْ

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٩١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٩)،

والبيهقي (١٦٦٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ما يَبينُهُ الآخَرُونَ، فَكُلُّ واحِدٍ مِنْهُم لهُ عَينٌ عَلى عَمَلِهِ المُكَلَّفِ بِهِ، وَعَينٌ آخَرى عَلى فَرِيقِهِ المُتَمَيِّإِ إِليهِ، يَقومُ كُلُّ مِنْهُم بِعَمَلِهِ وَواجِبَاتِهِ، وَيُحاولُ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلى مَشاكَلِهِ وَمُعْضَلاتِهِ.

كُلُّ هَذا تَحَتَ مَظَلَّةِ الرِّئاسَةِ وَتَوَجِّياتِها، وَأوامِرِها وَتَعلِيماتِها؛ لِيَحْصَلَ التَّناعُمُ بَينَ جَميعِ الفِرقِ وَسائِرِ الأَفرادِ في كُلِّ مَجالِ العَمَلِ في الحَرَمينِ الشَّرِيفينِ.

والمُسْتفيدُ في النِّهايةِ هُمُ الحُجَّاجُ والمُعْتَمِرُونَ، وَالزُّوارُ والمُتَعَبِّدُونَ، فيَجنُونَ ثَمارَ جَهدِ الفِريقِ والأَفرادِ، والرِّئاسَةِ والمَرؤوسينَ، يَجنُونُها في صَورةِ بِناءِ شامِخٍ كَاملِ المَرافِقِ، وَمَكانٍ نَظيفٍ، وفِراشٍ وَثِيرٍ، وَتَكييفٍ مُنْعَشٍ، وَغيرَ ذلكَ مِنَ المَرافِقِ المُريحَةِ؛ لِيَتَفَرَّغُوا في الحَرَمينِ لِلعِبادَةِ وَهُمُ في غايَةِ السَّعادَةِ.

والرِّئاسَةُ بِرؤيَةِ الفِريقِ والأَفرادِ يُتابِعُونَ عَلى مَرِّ مَواهِمِ الحُجِّ عَبرَ السَّنينِ ما يَحتاجُ إِليهِ جُموعُ الحُجَّاجِ والمُعْتَمِرينَ في الحَرَمينِ الشَّرِيفينِ وَفي المَشاغِرِ المُقدَّسَةِ، وما يُعِينُهُم عَلى أَداءِ المَناسِكِ بِسُهوَلَةٍ وَيُسْرٍ، فيقومونَ بِتَنفِيزِهِ عَلى أَكْمَلِ الوُجوهِ، وَفي أَسْرَعِ وَقْتٍ مُمكِنٍ، دونَ تَعطيلٍ لِلحُجَّاجِ والمُعْتَمِرينَ، وَلا إِزْعاجٍ لِلزُّوارِ والمُتَعَبِّدينَ.

وَمَعَ كُلِّ هَذَا، فَكُلُّهُمْ آذَانٌ مُصْغِيَةٌ لِأَيِّ اقْتِرَاحٍ أَوْ مَشُورَةٍ
تُحَسِّنُ خِدْمَةَ الْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ؛ لِيُخْرَجَ الْعَمَلُ فِي أَجْمَلِ
صُورَةٍ.

وَهُمْ يَفْتَحِرُونَ بِخِدْمَةِ ضُيُوفِ الرَّحْمَنِ، وَكَيْفَ لَا
يَفْتَحِرُونَ بِخِدْمَتِهِمْ وَقَدْ قَامَ بِهَا قَبْلَهُمْ نَبِيَّانِ كَرِيمَانِ، هُمَا
إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟! قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

«أَيُّ: أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمَا وَأَمَرْنَاهُمَا بِتَطْهِيرِ بَيْتِ اللَّهِ مِنَ الشَّرِكِ
وَالكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَمِنَ الرَّجْسِ وَالنَّجَاسَاتِ وَالْأَقْدَارِ»^(١).

وَعَنْ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجَوِرِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَمَرَ أَنْ يُجَمَّرَ الْمَسْجِدُ - مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ - كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، حِينَ
يَنْتَصِفُ النَّهَارُ^(٢).

فَعَلَى جَمِيعِ الْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ وَالزُّوَّارِ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَىٰ

(١) تفسير السعدي (ص ٦٥).

(٢) السنن والأحكام للضياء المقدسي (٢/٣٤٣)، وعزاه لسعيد بن منصور.

ما في الْحَرَمِينَ مِنْ خِدْمَاتٍ وَإِعْمَارٍ؛ إِذِ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا حَقٌّ لِكُلِّ
الْأَجْيَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ مَقْصُودُنَا مِنْ وَرَاءِ كُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ،
وَنَرْجُو أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي الْجَمِيعِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَكَذَاكَ تَمَكِينُ الْفَرِيقِ ثِقَافَةٌ

رُوحُ الْفَرِيقِ لَنَا مِنَ الْأَعْوَانِ

كُلُّ يَقُومُ بِدَوْرِهِ مُتَعَاوِنًا

وَكَأَنَّمَا هُمْ وَاحِدٌ لَا اِثْنَانِ

كَالنَّحْلِ إِذْ يَبْنِي الْحَلِيَّةَ جَاهِدًا

حَتَّى تَتِمَّ قُوَّةَ الْأَرْكَانِ



القيمة السادسة تبني الإبداع

الإبداع: هو الإتيانُ بشيءٍ جديدٍ يكونُ وليدَ ذهنِ المُبدِعِ
وَمِنْ بُنْيَاتِ أَفْكَارِهِ، مَعَ إِمْكَانِيَّةِ تَطْبِيقِهِ فِي الْوَاقِعِ الْمَلْمُوسِ.

وَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى التَّفْكِيرِ، وَالتَّفْكِيرُ هُوَ أَدَاةُ الْإِبْدَاعِ:

لَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى التَّفْكِيرِ وَإِعْمَالِ الْعَقْلِ، وَالنَّظَرِ فِي
آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَى التَّدَكُّرِ الَّذِي
يُورِثُهُ حُسْنُ التَّفْكِيرِ، كَمَا حَثَّ عَلَى النَّظَرِ فِي الظُّوَاهِرِ الْكُونِيَّةِ
الْمُخْتَلَفَةِ، وَتَأَمُّلِ بَدِيعِ صُنْعِهِ وَمُحْكَمِ نِظَامِهِ.

كَمَا حَثَّ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَةِ سُنَنِ اللَّهِ وَقَوَانِينِهِ فِي
جَمِيعِ مَيَادِينِ الْعُلُومِ الْمُخْتَلَفَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا
أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرْدِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا
بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

ففي هذه الآيات وأمثالها دعوة صريحة إلى النظر والملاحظة والتفكير والبحث العلمي.

قال عون بن عبد الله بن عتبة: سألت أم الدرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟
قالت: «التفكير والاعتبار»^(١).

وعن عامر بن عبد قيس، قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون: «إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان: التفكير»^(٢).

وأنشد بعضهم:

نزهة المؤمن الفكر
لذة المؤمن العبر^(٣)

ومدح الإسلام حسن التفكير والقوة في التنفيذ والتطبيق، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥].

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٨٥٠) وابن المبارك في الزهد (ص ٩٧)،

ووكيع في الزهد (ص ٤٧٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/٣٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٨٥)، الدر المنثور للسيوطي (٢/٤٠٩)، وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/١٨٥).

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْأَيْدِي**»: الْقُوَّةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ،
﴿وَالْأَبْصَرِ﴾: الْعُقُولُ»^(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَعْطُوا قُوَّةً فِي الْعِبَادَةِ، وَبَصْرًا فِي الدِّينِ»^(٢).
وَالْإِبْدَاعُ لَهُ فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ:

- فهو يساعد على توليد أفكار جديدة، تُطبَّق على الواقع،
ويستفيد منها النَّاسُ عامَّةً، والحجَّاجُ والمُعتمرون خاصَّةً.

- ويساعد على تطوير الأفكار الموجودة بالفعل؛ لزيادة
إمكانيتها، ووجوه الاستفادة منها في المناسك وغيرها.

- ويساعد على حلِّ المُشكلاتِ والتَّحدياتِ التي تظهر بين
الحين والآخر في المشاعر المقدَّسة في مواسم الزَّحامِ؛ لتجنُّبها
في المواسم التَّالية.

وَالْقَائِمُونَ عَلَى شُؤْنِ الْحَرَمِينَ لَا يَبْرَحُونَ يَسْتَنْهَضُونَ
الطَّاقَاتِ الْفِكْرِيَّةَ، وَالْمَوَاهِبَ الْعَقْلِيَّةَ؛ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا فِي
تَقْدِيمِ كُلِّ جَدِيدٍ وَمُفِيدٍ فِي الْمَرَافِقِ وَالتَّقْنِيَّاتِ وَالْمُعَدَّاتِ؛

(١) سنن سعيد بن منصور (١٨٥٤)، تفسير الطبري (٢٠/١١٥).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/١٢٥)، تفسير الطبري (٢٠/١١٥).

لِتَيْسِيرِ أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ لِضُيُوفِ الرَّحْمَنِ، مَهْمَا كَثُرَ عَدُّهُمْ
وَاشْتَدَّ زِحَامُهُمْ.

وَفِي كُلِّ مَوْسِمٍ يَجِدُ ضُيُوفَ الرَّحْمَنِ فِكْرَةً أَوْ أَفْكَارًا إِبْدَاعِيَّةً
جَدِيدَةً يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا، وَيَرْتَفِقُونَ بِهَا، وَانظُرْ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ
مِنْطَقَةَ الْجَمْرَاتِ، وَقَارِنْ بَيْنَ مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، وَبَيْنَ مَا كَانَتْ
عَلَيْهِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ، فَلَنْ يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَدَثَ مِنْ تَحْدِيثٍ
وَتَطْوِيرٍ، وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ تَسْهِيلٍ وَتَيْسِيرٍ، هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى
نِتَاجُ الْإِبْدَاعِ وَالتَّفْكِيرِ.

وَلَا يَزَالُ الْمَجَالُ مَفْتُوحًا لِلِابْتِكَارِ وَتَقْدِيمِ الْاِقْتِرَاحَاتِ
وَالْأَفْكَارِ الَّتِي تَعُودُ بِالنَّفْعِ وَالتَّيْسِيرِ عَلَى ضُيُوفِ الرَّحْمَنِ فِي
الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَفِي الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَهَكَذَا تَتَكَاتَفُ الْعُقُولُ وَتَتَكَامَلُ لخدمَةِ الْحُجَّاجِ وَالْعُمَّارِ
وَالزُّوَارِ؛ لِيَرْتَفِقُوا بِمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ حُلُولٍ وَأَفْكَارٍ.

وَطَرَأَةُ الْإِبْدَاعِ فِي أَفْكَارِنَا

وَالْفَهْمُ مِنْحَةُ رَبِّنَا الْمَنَّانِ

فِينَا الْعُقُولُ النِّيِّرَاتُ، وَعِنْدَنَا
أَهْلُ الدَّكَاةِ وَصَفْوَةُ الشُّبَّانِ
المُبْدِعُونَ شَبَابُنَا فَلْنُعْطِهِمْ
فُرْصًا لِنَيْلِ السَّبْقِ فِي المَيْدَانِ



القيمة السابعة التَّعَاوُنُ

لَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ عَلَى التَّعَاوُنِ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ
وَالْمُشَارَكَةِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ففي هذه الآية: «يَأْمُرُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُعَاوَنَةِ عَلَىٰ
فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَهُوَ الْبِرُّ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَهُوَ التَّقْوَىٰ،
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّنَاصُرِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْمَآثِمِ
وَالْمَحَارِمِ»^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، فِيمَا بَيْنَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَفِيمَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ عَبْدٍ لَا يَنْفَكُ عَنْ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ
وَهَذَيْنِ الْوَاجِبَيْنِ: وَاجِبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَوَاجِبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ.

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٢، ١٣).

فَأَمَّا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ مِنَ الْمَعَاشِرَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالصُّحْبَةِ،
فَالوَاجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا: أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعَهُ بِهِمْ وَصُحْبَتَهُ لَهُمْ، تَعَاوُنًا
عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، الَّتِي هِيَ غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَفَلَاحِهِ،
وَلَا سَعَادَةَ لَهُ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى، اللَّذَانِ هُمَا جِمَاعُ
الدِّينِ كُلِّهِ.

والإثمُ والعدوانُ في جانبِ النَّهْيِ، نَظِيرُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي
جَانِبِ الْأَمْرِ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»^(٣).

وَمِنْ ذَلِكَ: تَعَاوُنُ الصَّحَابَةِ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ:

فَقَدْ تَعَاوَنَ الصَّحَابَةُ فِي حَمْلِ الْحِجَارَةِ الَّتِي يُبْنَى بِهَا الْمَسْجِدُ:

(١) الرسالة التبوكية (ص: ٦-١٠) باختصار.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نُنْقَلُ لِبَنِ
الْمَسْجِدِ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَكَانَ عَمَارٌ يَنْقُلُ لِبْتَيْنِ لِبْتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْعُبَارَ، وَقَالَ: «وَيْحَ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ
الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ!»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ يَحْمِلُ لِبْتَيْنِ
لِبْتَيْنِ، فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ،
وَيَقُولُ: «يَا عَمَارُ، أَلَا تَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ!».
قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ^(٢).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التَّعَاوُنُ فِي بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَفْضَلِ
الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي لِلإِنْسَانِ أَجْرُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمِثْلُ
ذَلِكَ حَفْرُ الْأَبَارِ وَتَحْيِيسُ الْأَمْوَالِ الَّتِي يَعْمُ الْعَامَّةُ نَفْعَهَا»^(٣).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبْنَ فِي بُنْيَانِهِ،
وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبْنَ:

(١) رواه البخاري (٢٨١٢).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (١١٨٦١)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٧٩)،
والحاكم في المستدرک (٢٦٥٣).

(٣) شرح صحيح البخاري (٩٨/٢).

الَّذِي إِنْ أَجْرُ الْأَجْرِ الْآخِرِ

فَارْحَمَ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(١)

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرْعَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَذَأَبُوا فِيهِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

لَيْسَ قَعْدَنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ

لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضِلُّ»^(٢)

وَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَامِلَيْنِ عَلَى الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُمَا بِالتَّعَاوُنِ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

فَعَنَّ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا»^(٣).

«أَيُّ: تَوَافَقَا فِي الْحُكْمِ وَلَا تَخْتَلَفَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافِ أَتْبَاعِكُمَا؛ فَيُفْضِي إِلَى الْعِدَاوَةِ، ثُمَّ الْمُحَارَبَةِ»^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/٤٩٦).

(٣) رواه البخاري (٤٣٤١)، ومسلم (١٧٣٣).

(٤) فتح الباري (١٣/١٦٢).

وَمِنَ الْمُهِمِّ وَالنَّافِعِ: التَّعَاوُنُ دَاخِلِيًّا بَيْنَ فَرِيقِ الْعَمَلِ الْوَاحِدِ،
فَيَكُونُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَيُطَبَّقُونَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ
الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْبُنْيَانِ، يُشَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ^(١).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَعَاوُنُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أُمُورِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَدْنُوبٌ إِلَيْهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ اسْتِعْمَالَ آدَابِ نَبِيِّهِمْ، وَالِاقْتِدَاءِ بِمَا
وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ»^(٢).

وَمِنَ الْمُهِمِّ وَالنَّافِعِ: التَّعَاوُنُ مَعَ شُرَكَاءِ النَّجَاحِ دَاخِلَ الْفَرِيقِ
وَخَارِجِهِ، وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْ تِجَارِبِهِمْ وَخِبْرَاتِهِمْ، وَالتَّدْقِيقُ فِي مَعْرِفَةِ
أَسْرَارِ تَفَوُّقِهِمْ؛ لِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ وَالسِّيَرِ عَلَى مَنَهَاجِهِمْ، وَتَعْمِيمِ
تِجَارِبِهِمُ النَّاجِحَةِ عَلَى سَائِرِ الْمُوظَّفِينَ؛ لِأَجْلِ تَعْمِيمِ الْفَائِدَةِ.

وَمِنَ الْمُهِمِّ وَالنَّافِعِ: مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ لِلْأَخْذِ بِهَا، كَمَا
فَعَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ: ﴿إِنَّا
مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(٣) فَاتَّبَعَ سَبَبًا

[الكهف: ٨٤-٨٥].

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، وقد تقدم.

(٢) شرح صحيح البخاري (٩/٢٢٧).

«أَيُّ: أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَسْبَابَ الْمَوْصِلَةَ لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ، وَعَمَلٌ بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ.

فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْقُدْرَةُ عَلَى السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ وَالْعَمَلُ بِهِ، حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَإِنْ عُدِمَا أَوْ أَحَدُهُمَا، لَمْ يَحْصُلْ»^(١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَاتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، قَالَ: «عِلْمًا».

وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَالضَّحَّاكُ^(٢).

وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّكَامَلَ وَالتَّعَاوُنَ وَالتَّنْسِيقَ بَيْنَ الْجِهَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ لَهُ أَعْظَمُ الْأَثْرِ فِي تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ فِي رُبُوعِ الْوَطَنِ، وَبَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَبَيْنَ هَذِهِ الْحُشُودِ الْمُبَارَكَةِ وَالْجُمُوعِ الْغَفِيرَةِ الَّتِي تَتَوَافَدُ عَلَى بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ يَتَبَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا، فَتَفْرُشُ لَهُمُ الْمَمْلَكَةُ بُسْطَ التَّرْحَابِ، وَتَعُدُّ لَهُمْ أَكْرَمَ النُّزْلِ، وَتُهَيِّئُ لَهُمُ الْأَجْوَاءَ الْمُنَاسِبَةَ، لِأَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ، وَإِتْمَامِ عِبَادَاتِهِمْ.

وَمَنْ أَوْفَى حِظًّا وَأَعْظَمُ عَطَاءً وَبَدَلًا، مِمَّنْ بَدَلَ غَايَةَ الْجَهْدِ،

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١٥ / ٣٧١ - ٣٧٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٨٢ - ٢٣٨٣).

وَسَعَى أَحْتَّ السَّعْيِ؛ لِتَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ لِضُيُوفِ الرَّحْمَنِ، مِنْ حِينِ تَحَطُّ رِحَالِهِمْ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ الطَّيِّبَةِ، إِلَى حِينِ تَلُوحِ لَهُمْ الْأَيْدِي بِالسَّلَامِ وَهُمْ يُغَادِرُونَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ انْدَسَّتْ فِي طَوَايَا نُفُوسِهِمْ فَرَحَةُ الْغَانِمِينَ مُخْتَلِطَةً بِأَحْزَانِ الْمَكْرُوبِينَ وَالْمَهْمُومِينَ؛ إِذْ يُودِّعُونَ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي الْإِهْتِمَامُ بِهِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ: ضَرُورَةُ التَّعَاوُنِ مَعَ الْجِهَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى خِدْمَةِ الْوَافِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ وَجَهَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَنْظِيمِ شُؤْنِهِمْ، وَالسَّعْيِ فِي تَحْقِيقِ مَصَالِحِهِمْ، وَإِعَانَتِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِهِمْ؛ فَإِنَّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَلَا شَيْءَ هُوَ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ عِبَادَتِهِ الَّتِي خُلِقَ لَهَا، فَمَنْ أَعَانَهُ عَلَى عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ لِرَبِّهِ أَثَابَهُ اللَّهُ أَحْسَنَ الثَّوَابِ، وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطِيَّةَ فِي الْمَأْبِ.

وَتَعَاوُنُ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِاسْتِثْبَابِ الْأَمْنِ وَتَحْقِيقِ السَّلَامِ، وَإِعَانَةُ الْجِهَاتِ الْمُخْتَصَّةِ عَلَى احْتِرَامِ الْأَنْظُمَةِ وَرِعَايَةِ الْقَوَانِينِ، الَّتِي مَا وُضِعَتْ إِلَّا لِأَجْلِ رَاحَةِ الْعِبَادِ وَأَمْنِ الْبِلَادِ، لَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ صُورِ التَّعَاوُنِ، وَأَحْمَدِ السَّعْيِ.

وَيُمْكِنُ لِشُرَكَاءِ النَّجَاحِ تَدْرِيبُ الْمُوظَّفِينَ وَالْعَمَّالِ الْجُدُّ،

والمُسَاهَمَةُ فِي تَطْوِيرِ قُدْرَاتِهِمْ وَمَهَارَاتِهِمْ الْفَنِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ
وَالذَّهْنِيَّةِ؛ حَتَّى يَصِيرُوا نَاجِحِينَ مِثْلَهُمْ، فَالْمُؤْمِنُ يُحِبُّ الْخَيْرَ
لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: «مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» أَيُّ:
مِنَ الْخَيْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَكَذَا هُوَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ.

وَالْخَيْرُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَعُمُّ الطَّاعَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ الدُّنْيَوِيَّةَ
وَالْآخِرَوِيَّةَ، وَتُخْرِجُ الْمَنْهِيَّاتِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْخَيْرِ لَا يَتَنَاوَلُهَا»^(٢).

وَلَا بُدَّ أَنَّهُمْ مَرُّوا بِمَرَاكِلِ فَشَلِّ وَإِخْفَاقٍ سَابِقَةٍ لِلنَّجَاحِ
وَالتَّمْيِيزِ، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَتُهَا لِلْحَذَرِ مِنْهَا وَتَوْقُفِهَا؛ حَتَّى لَا تُكَرَّرَ
الْخَطَأَ نَفْسَهُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا
حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ
مَرَّتَيْنِ»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فتح الباري (٥٧/١).

(٣) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فالفشلُ في تجرِبَةٍ يَجْعَلُكَ أَكْثَرَ وَعِيًّا عِنْدَ تَكَرُّرِ التَّجْرِبَةِ
نَفْسِهَا، وَيُقَلِّلُ مِنْ نِسْبَةِ وُقُوعِكَ فِي الأَخْطَاءِ السَّابِقَةِ، بِشَرَطِ أَنْ
تَتَعَلَّمَ مِنْ أَخْطَائِكَ السَّابِقَةِ جَيِّدًا.

والعَاقِلُ يَتَّخِذُ مِنْ تَجَارِبِهِ الفَاشِلَةِ حَافِزًا لِلنُّهُوضِ والنَّجَاحِ،
فهُوَ ذُو صَبْرٍ وَعَزِيمَةٍ وَذَكَاءٍ، بَحيثُ يَسْتَفِيدُ مِنْ خَطِيئَتِهِ وَيَعْرِفُهُ،
فلا يُكْرِرُهُ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْ نَجَاحِهِ، فيَعْرِفُ أسبابَهُ، فيَزِيدُ مِنْهُ
ويُطَوِّرُهُ، وهو يَقولُ بِلِسَانِ حالِهِ:

لَأَسْتَسَهِّلَنَّ الصَّعَبَ أَوْ أُدْرِكَ المُنَى

فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابِرٍ

قالَ ابنُ الجوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ الصَّافِي، دَلَّهُ عَلَى
طَلَبِ أَشْرَفِ المَقَاماتِ، وَنَهاهُ عَنِ الرِّضَا بِالنَّقْصِ فِي كُلِّ حالٍ.

وقَد قالَ أبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي:

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا

كَنَقْصِ القادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

فَيَنْبَغِي للعَاقِلِ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلى غايَةٍ ما يُمكِنُهُ»^(١).

(١) صيد الخاطر (ص ١٧٣).

وصاحبُ الهمةِ العاليةِ يصبُو دائماً إلى معالي الأمورِ، كما
قالَ الشاعرُ:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

قالَ الشُّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ صَادِقَ الرَّغْبَةِ، قَوِيَّ
الْفَهْمِ، ثاقِبَ النَّظْرِ، عَزِيْزَ النَّفْسِ، شَهْمَ الطَّبَعِ، عَالِيَّ الْهِمَّةِ،
سَامِيَّ الْغَرِيْزَةِ، أَلَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالذُّوْنِ، وَلَا يَقْنَعُ بِمَا دُونَ
الْغَايَةِ، وَلَا يَقْعَدَ عَنِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ الْمُبْلَغَيْنِ لَهُ إِلَى أَعْلَى مَا
يُرَادُ، وَأَرْفَعِ مَا يُسْتَفَادُ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ الْأَبْيَةَ، وَالْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، لَا
تَرْضَى بِدُونَ الْغَايَةِ فِي الْمَطَالِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مِنْ جَاهٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ
رِئَاسَةٍ، أَوْ صِنَاعَةٍ، أَوْ حِرْفَةٍ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مُرُومٍ
فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ

وقد وردَ هذا المعنى كثيراً في النظمِ والنثرِ، وهو المطلوبُ
الذي تنشطُ إليه الهممُ الشريفةُ، وتقبله النفوسُ العليةُ^(١).

يَتَعَاوَنُ الْأَخْيَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ

مُسْتَحْضِرِينَ أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ

كَيْ يَضْبِحُوا بَعْدَ التَّعَاوُنِ بَيْنَهُمْ

مُتَمَاسِكِينَ تَمَاسِكَ الْبُنْيَانِ

فَيَدُ الْإِلَهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ عِصْمَةٌ

لَهُمْ، وَفَرَقَتْهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ

أَهْدَأْنَا: إِسْهَأْنَا الْبِنَاءُ فِي

تَحْقِيقِ رُؤْيَا أَعْظَمِ الْأَوْطَانِ

أَكْرَمِ بِمَمْلَكَةٍ بِهَا حَرَمَا الْهُدَى

عَرَبِيَّةٍ كَتَبْنَا الْعَدْنَانِي

أَلُّ السُّعُودِ حُمَاتُهَا، وَرُعَاتُهَا

خَدَمَ لَبَيْتِ الْإِلَهِنَا الرَّحْمَنِ

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص ١٨٠).

فَأَدِمِ إِلَهَ الْعَرْشِ عِزَّ بِلَادِنَا
وَاحْفَظْ عَلَيْهَا نِعْمَةَ الْإِيمَانِ
خَفَاقَةَ الْعَلَمِ الرَّفِيعِ أَبِيَّةً
مَحْفُوظَةً مِنْ مَكْرٍ كُلِّ جَبَانِ
رَغْدَاءَ وَافِرَةَ الرَّخَاءِ غَنِيَّةً
بِالْخَيْرِ يَنْعَمُ أَهْلُهَا بِأَمَانِ
وَنُعْلَمُ الْقُرْآنَ خَيْرَ عُلُومِنَا
وَالسُّنَّةَ الْغُرَاءِ كَالْفُرْقَانِ
وَمَكَانَةَ الْوَطَنِ الْحَبِيبِ، وَدَوْرَهُ
فِي الدِّينِ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ
وَنُتْرَجِمُ الدِّينَ الْحَنِيفَ عُلُومَهُ
كَيْ يَسْتَبِينَ لِأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ
وَنُطَوِّرُ الْأَكْفَاءَ كَيْ يَتَمَيَّزُوا
وَتَعَاوَنًا مَعَ كُلِّ ذِي إِحْسَانِ
تَسْخِيرُ تَقْنِيَّاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ
رُبْحٌ لَنَا فِي سَائِرِ الْأَرْمَانِ

هَذِي بَرَامِجٌ لِلرَّئِيسَةِ سَبْعَةٌ
مِنْهَا لِأَهْلِ إِمَامَةٍ وَأَذَانِ
وَالثَّانِ لِلْكَتُبِ الْمُفِيدَةِ إِنَّهَا
سَبَبٌ لِنَشْرِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَكَذَلِكَ مَقْرَأَةٌ تُرَحَّبُ دَائِمًا
بِالطَّالِبِينَ تَعْلَمُ الْقُرْآنَ
وَكَذَا الدُّرُوسُ الْمَنْهَجِيَّةُ إِنَّهَا
نَبْعٌ صَفَا لِلْوَارِدِ الظُّمآنِ
وَإِجَابَةٌ لِلسَّائِلِينَ فَإِنَّهَا
نُورٌ يُنِيرُ الدَّرَبَ لِلْحَيْرَانِ
وَكَذَلِكَ تَوْعِيَةُ الْعِبَادِ وَحِسْبَةٌ
بِتَلَطُّفٍ فِي سَاحَةِ الْمِيدَانِ
دَوْرَاتُ تَدْرِيبٍ لِأَهْلِ كِفَاءَةٍ
دَعْمًا لَهُمْ لِلْحَدِّقِ وَالْإِنْتِقَانِ
يَا رَبِّ بَارِكْ فِي الْجُهُودِ وَأَهْلِهَا
وَرِئِيسَةَ الْحَرَمَيْنِ ذَاتِ الشَّانِ

قِيمٌ لَنَا سَبْعٌ، كَذَا أَهْدَانَا
فَاطِرٌ بِهَا يَا طَالِبَ الْإِنْتِقَانِ
وَبَرَامِجٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَةٌ
كَاللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ وَالْمَرْجَانِ

هذا، وبالله التَّوْفِيقِ.

وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوفِّقَ الْقَائِمِينَ عَلَى شُؤُونِ الْحَرَمِينَ
لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَجْزِيَهُمْ خَيْرًا عَنْ حُجَّاجِ بَيْتِهِ، وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَ
الْحَرَمِينَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، آمِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
أَجْمَعِينَ.



المحتويات

- ٥ مقدمة الرئاسة
- ٧ مقدمة الكتاب
- ١٣ القيمة الأولى: تعظيمُ الحَرَمِينَ
- ٣٥ القيمة الثانية: إتقانُ العَمَلِ
- ٤٥ القيمة الثالثة: حُبُّ الهِدايَةِ
- ٥٦ القيمة الرابعة: الحَفَاوَةُ
- ٦٧ القيمة الخامسة: تَمَكِينُ الفَرِيقِ
- ٧٦ القيمة السادسة: تَبْنِي الإِبْداعِ
- ٨١ القيمة السابعة: التَّعاوُنُ



